مجلة شهرية
Issue No: 175 عدد:
March 2022 شهر آذار

نـــــور يسوع المسيح المسيـــح
ΦΩΣ الغـــالب XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

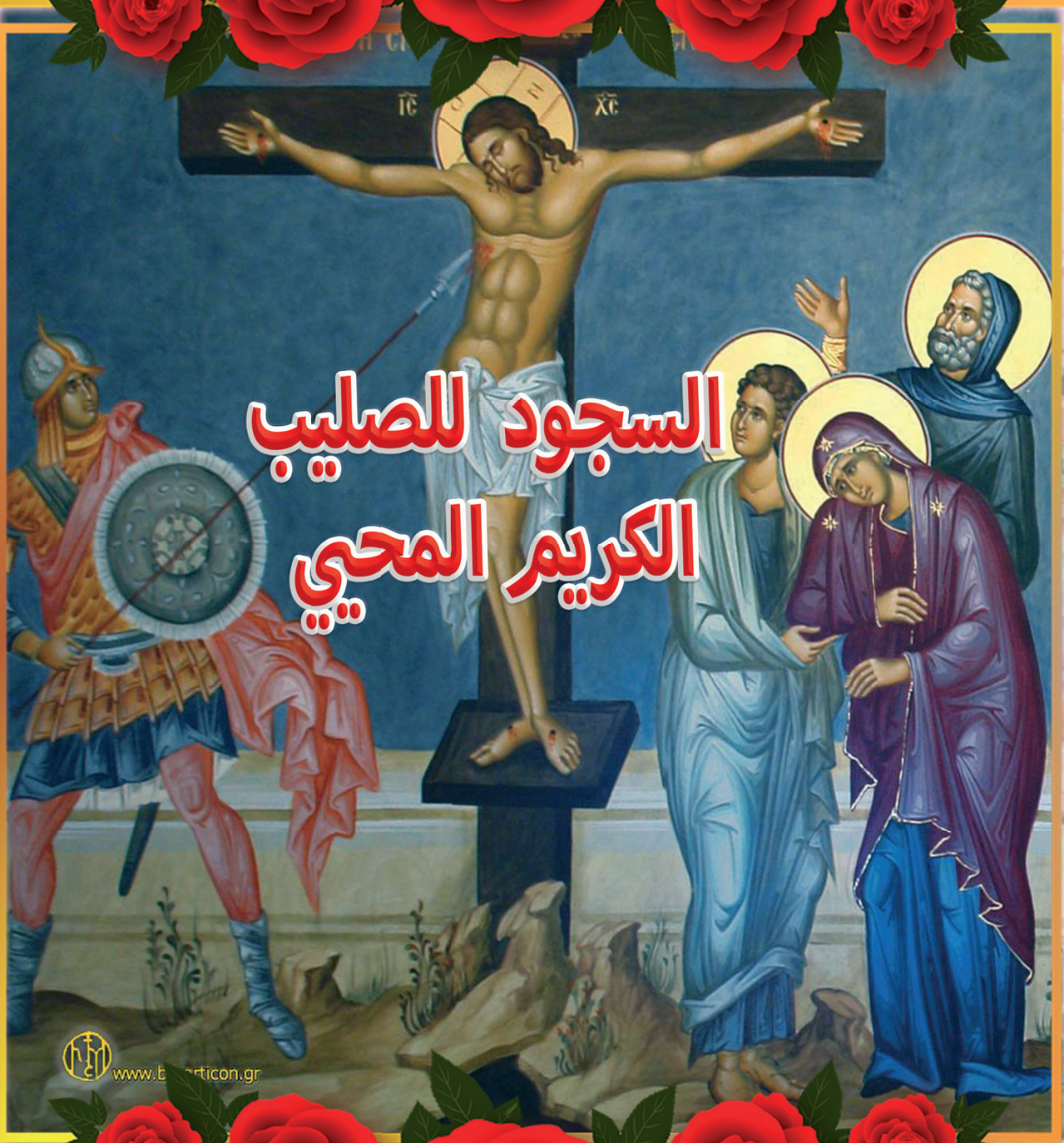

السجود للصليب الكريم المحيي

خَلِّص يا ربّ شعبك وبارك ميراثك. وامنح ملوكنا الغلبات على البربر،
واحفظ بقوَّة صَليبِك جميع المختصين بِك.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد شفيعه، القديس الشهيد ثيوفيلوس

أحد الشهداء الأربعين 27/03/2021

يقول **القديس باسيليوس الكبير** في مديح **الأربعين شهيدًا**: « **ليس من يُعرض لتعجبنا واحدًا أو اثنين بل أربعين، وكأنما لهم نفس واحدة في أجسام شتَّى، تجمعهم وحدة الإرادة والرأي في الإيمان. وقد أبدوا نفس الثبات تجاه الأخطار، ونفس الذّود عن الحقّ. كلهم متماثلون فيما بينهم.**»

أيها الآباء الأجلاء والإخوة المحترمون،

أيها الزوار المسيحيون الحسني العبادة،

تهتف كنيسة **المسيح** المقدسة في التذكار المقدس لجوق الشهداء الأربعين المستشهدين في مدينة سبسطية قائلةً بفم **صاحب المزمور**: « الله مجيدٌ في مجمع القديسين وعظيمٌ ورهيبٌ على الذين يُحيطون به أجمعين» (مز ٨٨: ٨).

لقد كان هؤلاء القديسون الأربعون رجلًا، كأنما لهم نفسٌ واحدة في أجسام شتَّى، فإنَّهم دخلوا في ماء البحيرة بجرأةٍ ورباطة جأشٍ. ولمَّا جَهَدَهُمُ البرد رتلوا **للرَّبّ** هذه **التسبيحة** قائلين: «لا تسخط علينا في الأنهار يا رب، لا تسخط علينا في الأنهار يا محب البشر، بل خفف ثقل الهواءِ ومرارتهُ ، فإنَّ أرجلنا قد تخضبت بدمائنا، فأدخلتنا يا الله إلى مظالّك الأبدية. لكي يدفئنا حضن إبراهيم أبي الآباء.» كما يقول **مرنم الكنيسة**.

إنَّ الشهداء الأربعين قد قالوا **للرَّبّ** بفمٍ واحدٍ «**إن أرجلنا قد تخضبت بدمائنا**» وذلك لأنهم أصغوا إلى **شهادة القديس يوحنا اللاهوتي الإنجيلي الصادقة**: «وَلكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ.» (١يوحنا ١:٧)، في هذا الإيمان **بالمسيح** رأى الشهداء القديسون **النُّور الحقيقي** أي «سَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ» (فيلبي ٤ : ٧)، «والفَرَحُ الذي لاَ يُنْطَقُ بِهِ» (١بطرس١ :٨)، ولهذا تَقَوَّوا بغيرة عظيمة لتطهير خطاياهم باستشهادهم الدموي في **المسيح**.

إن تذكار القديسين الأربعين شهيدًا الذين نُعيِّد اليوم لهم ولا سيما المستشهد معهم القديس ثيوفيلوس والذي حقارتنا تحمل اسمه الموقر، هذا الأمر الذي هو بركة من **قِبَل الرَّبّ إلهنا**. ذلك لأن هؤلاء الشهداء القديسين جعلوا الأرض سماءً وأناروا المسكونة جمعاء مُذيعين بآلام **المسيح مخلصنا** وقيامته قائلين مع **الرسول بولس**: «لاَ نَخْزَى فِي شَيْءٍ، بَلْ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ كَمَا فِي كُلِّ حِينٍ، كَذلِكَ الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِنا، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ.» (فيلبي ١: ٢٠).

ويُوضح **القديس باسيليوس الكبير** عن الشهداء الأربعين قائلاً:« أي قول يصف علوّ مَنْزِلَتِهِم، وذلك لأنه كان لهم وحدة الإرادة والرأي في الإيمان وقد أيَّدوا نفس الثبات تجاه الأخطار ونفس الدفاع عن الحقّ وكلهم متماثلون فيما بينهم.»

إنَّ **كنيسة أورشليم المقدسة الشاهدة بعيونها وآذانها على آلام المسيح الخلاصيَّة** ،وعلى صلب وقيامته الثلاثية الأيام، مُكرمةً تذكار القديسين الشهداء المجاهدين، وبالأخص **القديس ثيوفيلوس** المستشهد معهم لهذا فقد أقمنا « البركة السريَّة (السرائريّة) » أي سرّ الشُّكر الإلهي العظيم في **كنيسة القيامة المقدسة** بترؤُس حقارتنا وبرفقة أعضاء أخوية القبر المقدس الأجلّاء من رؤساء الكهنة، والكهنة والشمامسة والمصلِّين معنا من رعايانا المسيحيين الأتقياء **ممجدين الإله** الذي مَجَّدَ قديسيه.

وأيضًا رفعنا المجد والشكر **للإله الواحد المثلث الأقانيم** من أجل **القديس المجاهد الشهيد ثيوفيلوس** الذي أحمل اسمه «شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.»، كما يوصي **القديس بولس الرسول** (أفسس ٥: ٢٠).

إنَّ إتمام تذكار القديسين الشهداء الأربعين وبالأخص **القديس ثيوفيلوس** المستشهد معهم في الزمن الكنسي الليتورجي، لا يخصّ حقارتنا فقط، بل أولًا وقبل كل شيء **المؤسسة الرسوليَّة والبطريركيَّة** والتي تظهر من خلالها: « أَنَّ المسيحَ الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ.» (كول١:١٧ ـ ١٨) ،

«الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (أعمال ٢٠:٢٨)، هذا الدم دم **المسيح** الذي صار القديسون الشهداء الأربعون مساهمين ومشاركين فيه (أي مشاركين في الشهادة وفي سفك دمائهم من أجل محبتهم له).

إنَّ الشهداء القديسين الأربعين المكرمين «يُكلموننا بِبُنْيَانٍ وَوَعْظٍ وَتَعزِيةٍ.» (١كور ١٤:٣)، في هذه الأيام التي تعاني فيها البشريَّة من هذا المرض المميت والمعدي الذي هو **مرض الكورونا**، وذلك لأنه بحسب **القديس باسيليوس الكبير**: هم الحراس الساهرون على جنس البشر والمعاونون الجميع في مهماتهم والمشاركون لهم في الصلاة هم الشفعاء المقتدرون، نجوم المسكونة وأزهار الكنيسة هم الصوت القائل : «جُزْنَا فِي النَّارِ والماءِ ثُمَّ أَخْرَجْتَنَا إِلَى الرَّاحَةِ» (مز ٦٥:١٢).

إنَّ القديسين الشهداء يُكلموننا أيضًا باتفاق في وحدة الإرادة والرأي في الإيمان. أي وحدة الكنائس الأرثوذكسيَّة المحلية. ويقول **القديس باسيليوس الكبير**: «لم يكن لهؤلاء الشهداء وطنٌ واحدٌ بل كلٌ منهم قد نشأ في بلدةٍ ما فجنسهم البشري مختلف وأما جنسهم الروحي فهو واحد. فإن لهم أبًا واحدًا هو الله وجميعهم إخوة لم يلدهم رجل وامرأة بل وُلِدُوا بتبنِّي الرُّوح القُدُس، وآلفت بينهم وحدة المحبة المتبادلة». وبكلام آخر إنَّ هؤلاء القديسين كانوا «مُجْتَهِدِينَ أَنْ يَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ » (افسس ٤:٣).

فنحن مدعوون أيُّها الإخوة الأحبة لهذه الدعوة، دعوة شهادة الوحدة والسلام ومحبة إنجيل **إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح** وبالأخص في هذه الأيام المباركة في ميدان الصوم الأربعيني الكبير، إذ لدينا في هذا الصوم معاونون ومساعدون هم الشهداء القديسون الأربعون شهيدًا **والقديس الذي أحمل اسمه ثيوفيلوس وسيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم**، متضرعين إليهم لكي بسلامٍ وتواضُعٍ وتوبةٍ أن نكون مستحقين أن نبلغ يوم قيامة **إلهنا ومخلص** نفوسنا الثلاثية الأيام.

لهذا أدعو جميع من شاركنا اليوم في هذه الصلاة والذين حضروا معنا مكرِّمين هذا العيد، متضرعين أن يمنحهم **الله** قوة من العلاء وموهبة **الرُّوح القُدُس**، ونعمة من القبر القابل للحياة وصبرًا وكل بركة من لدن **الله مخلصنا**. آمين.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

يا لَهُ من عِشْقٍ **مُجنَّحٌ بالذهبِ** أو بالأحرى **بالمسيح** الذي يُصْعِدُ إلى السماء كل نفس تشتهيه. إنَّ العشق الإلهي الذي رفعه عن الأرض دفعه ليصعد على الشجرة. لم يدعه يتطلّع بعد ذلك إلى أمور الأرض ولا أن يخالط البشر. إن المحبة الإلهية هي التي أدارت أنظاره إلى الخيرات السماويَّة. فهو يركض **من الأرضيات** إلى السماويات فيرتفع على الشجرة ويشاهد **المسيح** من هناك، وهو بالذهن جالس على السُحب.

وعندما رأى **زكّا الرَّبّ** قال له بما يليق به: «إني رفعت عينيّ إليك يا ساكن السماء».

رأى **زكّا الرَّبّ** وازداد فرحه. لقد مسّ قلبه فأصبح إنسانًا آخر. من **عشار** تحوّل إلى غيور، من **مُلحد** إلى مؤمن، من **ذئب** إلى خروف مُعَدّ للذبح. مَنِ الذي أحب إمرأته أو أولاده كما أحب **زكّا الرَّبّ** حسبما تُظهره الوقائع نفسها. لقد وزع أمواله على الفقراء وأعطى الذين ظلمهم أربعة أضعاف.

يا له من تصرّف يليق **بالتلميذ الصالح!** ... يا لها من قوَّة **إلهية**: إن رؤية **يسوع** وحدها قادته إلى الفعل. لم يُعطِ **الرَّبّ لزكّا** أي تعليم. حضر أمامه فاجتذب الإيمان قلبه إلى الذي كان يشتاق إليه. لقد حصل أمرٌ مشابه **لنازفة الدم**. اقتربت من **الرَّبّ** وطلبت منه الشفاء. لم يقبل أن تلمسه بيدها. فجاءت خفية ولمست هُدب ثوبة فجذبتها قوّة الشفاء من اللمس كالاسفنجة. لم يكن **زكّا** يدرك ماذا يفعل إذ أنه كان مَسُوقا بالغيرة **الإلهية**، ملتهبًا بالعشق **الإلهي** الروحيّ فصعد على الجميزة.

لكن **الرَّبّ** كشف له سِرًّا وطلب منه أن ينزل. عرف أعماق نفسه. عرف شوقه المُقدَّس. إنزلْ! تذكر **آدم** الذي عندما شعر بِعُرِيهِ اختبأ وراء شجرة التين. وأنت الذي تريد الخلاص لا تصعد على الجميزة. ينبغي لي أن أُصَيِّرَهَا يابسة وأزرع غيرها ... أي **الصليب**. تلك هي الشجرة المباركة (أي شجرة الصليب) وعليكَ أن تقود قدميك إليها. تلك هي التي تقود مباشرة إلى السماء ... أنت خروفي الضال وعنك أبحث. إنزل بسرعة وانتظرني في بيتك. ينبغي لي أن أستريح فيه. إني أستريح حيث يوجد إيمان. أذهبُ حيث توجد المحبة.

ملحوظة: دونت الحاجة الإسبانيَّة إيچيريا وقائع رحلتها إلى الأراضي المقدسة باليونانيَّة (في اوخر القرن الرابع للميلاد) وأرسلتها إلى أخواتها المؤمنات في وطنها، ومن الممكن أن المقصود بأخواتها مجموعة رهبانية نسائيَّة مجهولة. وهذا ما شاهدته في زمن الصوم والفصح:

عندما تقترب الأعياد الفصحيَّة، يُحتفل بها كما يلي: فيما نتقيَّد عندنا بأربعين يومًا، قبل **الفصح**، فإنما تسبق العيد هنا ثمانية أسابيع. وإذا كانوا يتقيَّدون بثمانية أسابيع، فلأنهم لا يصومون في الآحاد والسبوت، ما عدا **سبتًا واحدًا، هو سبت الصلوات استعدادًا للفصح**، حيث الصوم واجب. وما عدا هذا اليوم، فإنهم لا يصومون البتّة هنا في أي يوم سبت من السنة كلها. وهكذا، إذا حذفنا من الأسابيع الثمانية أيام الآحاد الثمانية وأيام السبوت السبعة، بسبب الصيام الإلزامي، ذاك السبت، كما ذكرت أعلاه، يبقى واحد وأربعون يومًا يصومون فيها. وتدعى هنا (الأعياد) أو بعبارة أخرى **الصوم**.

أما بالنسبة إلى **الأصوام** فإليكُنَّ العادة المتبعة هنا مدّة الصوم: من الناس إذا تناولوا طعامًا يوم الأحد بعد الذبيحة الإلهية، في الساعة الخامسة أو السادسة (١٢ ظ)، **لا يعودون يتناولون الطعام الأسبوع كله حتى السبت التالي**، بعد أن يتمّ الانصراف من **كنيسة القيامة**. هؤلاء هم الذين **يصومون أسابيع كاملة**.

يوم السبت، **إذا فطروا صباحًا لا يأكلون مساءً**. ولكن في اليوم التالي، أي يوم الأحد، يتناولون طعام الغذاء بعد الانصراف من الكنيسة أي الساعة الخامسة أو في ما بعد، وينقطعون عن الطعام حتى يوم السبت التالي، كما قلت آنفًا.

وإليكُنَّ عادة **صيام** كل الذين يسمونهم هنا الزُّهّاد، رجالًا ونساءً: وهو أنهم إذا تناولوا طعامًا، ليس فقط أيام الصوم، **ولكن طيلة السنة**، لا يتناولون طعامًا إلَّا مرّة واحدة في اليوم. وإذا كان من الزُّهّاد من لا يستطيعون الصوم، أسابيع كاملة – كما سبق وقلنا – مدّة الصوم كله، فيتناولون طعام العشاء وسط الأسبوع أي يوم الخميس. ومن لا يستطيع ذلك أيضًا يكتفي بيومين من الأسبوع مدّة الصوم كله. وأخيرًا من لا يستطيع حتى القيام بهذا يتعشى كل مساء.

فلا أحد يفرض ما يجب عمله، بل كل واحد يعمل ما يستطيع. فلا يُمدَح المرء لأنه قام بالكثير، ولا يُلام لأنه قام بالقليل. تلك هي العادة هنا.

لابُدَّ لي أن أكتب إليكُنَّ هذا أيضًا: كيف يتمّ تثقيف الذين يعتمدون في عيد **الفصح**. من أراد تسجيل اسمه، فليتقدم لذلك عشية بدء الصوم. فيسجّل كاهنٌ أسماء الجميع، عشية الأسابيع الثمانية التي قلت إن الصوم يمارس فيها هنا.

عندما يكون الكاهن قد سجّل أسماء الجميع، ففي اليوم التالي الذي تبدأ فيه أسابيع الصوم الثمانية، يوضع **للأسقف** كرسيٌّ في وسط الكنيسة الكبرى، أي المرتيريوم، ويجلس الكهنة على كراسي إلى جانبيه، فيما يقف جميع الإكليريكيين. حينئذ يُؤْتَى بالمرشَّحين واحدًا فواحدًا: يصحبهم عرّابُهم (كفيلهم) إذا كانوا رجالًا، وعرّابتهن (كفيلتهن) إذا كُنَّ نساءً.

وكل مرّة يسأل **الأسقف** جيران المتقدم قائلًا: «هل يسير سيرة حسنة؟ هل يحترم والديه؟ هل هو مُدْمِنٌ على السُّكْرِ أو كَذُوبٌ؟» ويستقصي أيضًا عن كل عيوبه، وإنحرافاته وخاصة الجنسيّة منها.

وإذا كان يُشهد للمرشَّح بالسِّيرة الحسنة في كل ما سأل عنه **الأسقف** الشهود الحاضرين، يُدَوِّن اسمه بيده. ولكن إذا أُلصقت به أيّة تهمة، يدعوه **الأسقف** إلى الخروج قائلًا: «فليُصلح نفسه أولًا، وإذا اصطلح، فحينئذ يستطيع التقدُّم إلى العماد».

ويُجري **الأسقف** التحقيق نفسه، أَرَجُلًا كان المرشَّح أم امرأة. وإذا كان الطالب غريبًا، فلا يُقبل بسهولة للعماد، ما لم يوجد شهود يعرفون عنه.

واجب عليَّ أن أكتب إليكُنَّ، أيتها السيدات أخواتي، لئلا تعتقدن أنَّ العماد يتم بدون شرح (للأسرار). فهذه هي العادة المتّبعة: أولًا طيلة الأربعين يومًا التي يُصام فيها، في الصباح الباكر، حالًا بعد الانصراف الصباحيّ من **كنيسة القيامة**، **يُعزَّم** (أي **طرد وجحد الأرواح النجسة**) **الإكليريكيون المتقدمون** إلى العماد. وحالًا بعد ذلك يوضع كرسيٌّ **للأسقف** في المرتيريوم، في الكنيسة الكبرى، فيتحلَّق جميع طالبي العماد، رجالًا ونساءً، ويجلسون إلى جانب **الأسقف**. ويحضر أيضًا العرّابون والعرّابات (أي الوكلاء أو الإشبين). وجميع من أرادوا الاستماع أيضًا من الشعب، وبالأخص المؤمنون، يدخلون ويجلسون.

أمَّا **الموعوظون** (غير المسيحيين) فلا يدخلون المكان فيما **الأسقف** يشرح الشريعة لطالبي العماد، مُتَّبعًا الطريقة التالية: إنطلاقًا من سفر

التكوين، يتصفح **الأسقف**، طيلة الأربعين يومًا هذه الأسفار المقدسة كلها، فيشرح أولًا المعنى الحرفيّ، ثم يستخلص المعنى الروحيّ. ويشرح لهم أيضًا مدّة هذه الأيام كل ما يتعلق **بالقيامة**، وبالإيمان أيضًا وهذا ما يسمى **التثقيف الديني**.

وفي ختام **خمسة أسابيع التثقيف**، يعطون حينئذ قانون الإيمان، فيشرحه لهم **الأسقف** على غرار ما فعل للأسفار المقدسة، إذ شرح كل آية، أولًا حرفيًّا ثم روحيًّا: فهكذا يشرح أيضًا قانون الإيمان. وبهذه الطريقة، فإن جميع المؤمنين في هذه المناطق، يتابعون الأسفار المقدسة عندما تُتلى عليهم في الكنيسة، أنهم كلهم تلقنوها طيلة الأربعين يومًا، من الساعة الأولى حتى الساعة الثالثة (من ٦ إلى ٩ صباحًا) فالتثقيف الديني يدوم في الواقع ثلاث ساعات.

وحالًا بعد **التثقيف الديني**، في الساعة الثالثة، يرافقون **الأسقف** على أنغام الترانيم، من هناك إلى **كنيسة القيامة**، ويقيمون **رتبة الساعة الثالثة**. وهكذا فإن **التثقيف الديني** يدوم ثلاث ساعات يوميًّا على مدى سبعة أسابيع. وفي الأسبوع الثامن من الصوم، والذي يُدعى هنا **الأسبوع العظيم**، لا وقت **للأسقف** لمتابعة **التثقيف** لكي يتمكنوا من إحياء الحفلات التي سبق وتكلمتُ عنها.

بعد نهاية الأسابيع السبعة، لم يبق إلّا الأسبوع **الفصحي** الذي يُدعى هنا **الأسبوع العظيم**، يفد **الأسقف** صباحًا إلى الكنيسة الكبرى في المرتيريوم. فيوضع كرسيٌّ **للأسقف**. فيأتي طالبوا العماد واحدًا فواحدًا، ويتلون قانون الإيمان أمام **الأسقف**. وبعد تلاوة قانون الإيمان، يتوجّه **الأسقف** إلى الجميع قائلًا: « لقد تعلّمتم طيلة هذه الأسابيع السبعة، كل ما تنصُّ عنه الشريعة في الكتاب المقدس، وسمعتم أيضًا الشَّرح عن الإيمان، وعن قيامة الجسد. واستمعتم أيضًا إلى شرح قانون الإيمان، على قدر ما استطعتم أن تسمعوا، طالما إنكم بعد موعوظون. أما عن السِّرّ الأعمق، أعني العماد نفسه، فلا تستطيعون سماع شرحه طالما إنكم بعد موعوظون. وحتى لا تظنوا أن أمرًا أيًّا كان يؤتَى بدون شرح، فعندما، باسم الله، تتقبلون العماد فلسوف تسمعون الكلام عنه، في كنيسة القيامة، في أثناء ثُمانية الفصح (إذ كان يُحتفل بعيد القيامة ٨ أيام)، بعد صرف الجميع من الكنيسة. ولكن بما أنكم لا تزالون موعوظين فلا يمكن أن نكلمكم عن الأسرار الإلهية الأكثر عُمقًا».

.... وفي يوم السبت **(سبت النور)** ... المعمدون الجُدُد، بعد قبولهم العماد وارتدائهم الثوب الأبيض، بعد خروجهم من أحواض العماد، يُقادون أولًا برفقة **الأسقف** إلى **كنيسة القيامة** ..

لقاء الغفران السنوي
للقديس باخوميوس الكبير

إن وقت اجتماعنا معًا يقترب، حسب عادتنا في **الصَّفْح**، إذ نتبع الأنظمة القديمة للاجتماع معًا لعمل **الصَّفْح والغفران**، فليصفح كل واحد إذن لأخيه حسب وصية الله وتطبيقًا للوصايا المكتوبة لنا من الله. وليفتح كل واحد قلبه بالتمام لأخيه. وليشارك الإخوة بعضهم بعضًا في التزاماتهم. ولتُطهَّر نفوسهم بالتقديس ومخافة الله. ولا تكُن في قلوبهم **أية عداوة**. وليعرفوا بالأحرى كيف يسلكون بالحقّ مع بعضهم البعض، لأن هذه هي وصية ناموس الله أن نطلب السلام وَنَجِدَّ في أثره أمام الله والناس، سالكين بالحقّ مع كل إنسان. وليعيشوا في سلام في كل شيء خادمين الله، وبعضهم البعض وليس **لأغراضهم العديدة وخداع عيونهم ومخاتلات العلم الذي ينفخ وميول الجسد**. فمن هذه الأمور تنشأ الانقسامات **واحتقار** ناموس الله، **والمنازعات، والأفكار الشريرة التي تثير الغضب، مثل المياه التي تفيض وتزبد بالملذات الجسديَّة**.

لذلك كُتب ناموس الله لكي يُبطِل ناموس **الأجساد** وحقوقها، وحتى يخجل الذين يتبعون شهواتهم المُهلكة، طالبين التوبة الحقيقيَّة من الله، وبإزدرائهم **للأمور الزمنيَّة** يسعون إلى **الأمور الأبديَّة**. وهكذا يصيرون مستعدين لاستقبال ميراث القديسين الذين **كبحوا جماح أنفسهم** مزدرين بالحياة الحاضرة لكي ينالوا حياة الدهر الآتي.

فبدلًا من **الخبث** نرجو **الصلاح**، وبدلًا من **الشغب والنزاع** نرجو **السلام والانسجام**، وبدلًا من **تبنِّي الجسديات** نرجو خدمة الله. وذلك لكيما **بقهرنا لمثيرات الجسد** يمكننا أن نطلب الأشياء التي تُرضي مشيئة الله.

مكتوب:فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلَاتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وأيضًا: أُتْرُكُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ لأَخِيهِ زَلَّاتِهِ. وكذلك: اِغفِروا يُغفَرْ لكُمْ. ثم: أحسِنوا إِلَى مُبغِضيكُمْ. وفي موضع آخر: لا يغلبنَّك الشَّرّ بل اَغْلِبِ الشَّرّ بالخير. وهذه أيضًا: لا تقُل: أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي!. وفي موضع آخر: لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. وأيضًا: مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. وكذلك: لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ. وهذه كذلك: كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، عَامِلِينَ الخَيْرَ لِلْجَمِيعِ. وأيضًا: أحِبّوا أعداءَكُمْ. باركوا لاعِنيكُمْ. أحسِنوا إِلَى مُبغِضيكُمْ، وصَلّوا لأجلِ الّذينَ يُسيئونَ إِلَيكُمْ ويَطرُدونَكُمْ.

فتأملوا إذن، ما أكثر الشواهد التي تدفع المؤمن إلى تجنُّب **الخطية** إن كان يرغب في الإصغاء إلى ناموس الله ويميل بسمعه إلى وصاياه، ويجعل عينيه مفتوحتين عليها، ويتجه بقلبه إلى مراعاتها. يوجد كثيرون يرغبون في حفظ هذه الوصايا ويطلبون الله بدموع وهم يَئِنُّونَ نهارًا وليلًا، **ولكن بسبب خداع عيونهم وعدم انضباط أجسادهم ماتوا في أنينهم وَأَسَى قلوبهم**. فإنَّهم في الحقيقة كانوا **غير قادرين على ضبط أجسادهم وشهوات قلوبهم**. لقد اشتهوا ناموس الله، ولكنهم إذ انجرفوا **وراء الأباطيل** ولم يستطيعوا أن يسلكوا بموجبه. لقد اختاروا بالأحرى أن يسيروا في طرق أخرى **شرِّيرة**، لذلك فقد كانوا يئنّون حسب قول النبيّ إشعياء: «أَمَّا الأَشْرَارُ فَكَالْبَحْرِ الْمُضْطَرِبِ لأَنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدَأَ، وَتَقْذِفُ مِيَاهُهُ حَمْأَةً وَطِينًا.» (إش ٥٧) إلى أن يُصاب كل منهم بالدوار في طريقه ويموت حزينًا، أما البارّ فيظل في **سعادة وفرح**.

١ – **طوبى** للذي تَحرّر بالكامل في **الرَّبّ** من كل أمور هذه الحياة **الأرضيَّة الباطلة**، وأحبَّ **الله** الصالح الشفوق وحده.

٢ – **طوبى** للذي صار حَرَّاثًا صالحًا للفضائل، وأنتج محصولًا من ثمار الحياة في **الرَّبّ**، كالأرض المحروثة الحاملة للقمح.

٣ – **طوبى** للذي صار فلَّاحًا صالحًا للفضائل، وغرس كرمة روحيَّة، وحصد العنب، فملأ معاصره من ثمار الحياة في **الرَّبّ**.

٤ – **طوبى** للذي جعل زملاءه الخدَّام فرحين فرحًا روحيًّا، من ثمرة الفضائل التي اجتناها بتعبه، لكي يقدّم ثمرة الحياة في **الرَّبّ**.

٥ – **طوبى** للذي يقف في **الكنيسة**، ويصلِّي مثل **ملاك سماوي**، حافظًا أفكاره في كل وقت طاهرة، ولا يُعطي **للشرير** سبيلًا يأسرُ نفسه بعيدًا عن **الرَّبّ المخلص**.

٦ – **طوبى** للذي يحب البكاء بفهم، ويُهرق الدموع على الأرض بتخشع، مثل دُرَرٍ كريمةٍ أمام **الرَّبّ**.

٧ – **طوبى** للذي يحبّ القداسة مثل النور، **ولا يُدَنِّس جسده بالأعمال الشريرة المظلمة** أمام أعين **الرَّبّ**.

٨ – **طوبى** للذي يحفظ جسده مُقدسًا **للمخلص**، ولا **يُخزي نفسه بأعمال قبيحة**، بل يبقى مَرْضِيًّا أمام **الرَّبّ**.

٩ – **طوبى** للذي **يكره كل عمل دَنَسٍ كله قباحة**، مقدمًا نفسه ذبيحة حية مرضيَّة أمام **الرَّبّ**.

١٠ – **طوبى** للذي يُبقي في نفسه ذكر **الله** على الدوام، لأن هذا سوف يُصبح كله مثل **ملاك سماوي** على الأرض، خادمًا **للرَّبّ** بخوف ومحبة.

١١ – **طوبى** للذي يحبّ **التوبة**، القادرة أن تُخلِّص الخَطَأَة، ولا يفكر **في عمل الشَّر**، ولا يُنكر النعمة أمام **الرَّبّ المخلص**.

١٢ – **طوبى** للجالس في قلايته، كمُقاتل نبيل يحرس كنز الملكوت، أعني جسده ونفسه بلا لوم في **الرَّبّ**.

١٣ – **طوبى** للجالس في قلايته، **كملاك** في السماء، حافظًا أفكاره طاهرةً، يُنشد بفمه تسابيح لمن له **سلطان** على كل نسمة.

١٤ – **طوبى** للذي أصبح مُشابهًا **للشاروبيم والسارافيم**، ولا يتوانَ أبدًا في خدمته الروحيَّة، بل يمجد **الرَّبّ** على الدوام.

١٥ – **طوبى** للمتلئ فرحًا روحيًّا على الدوام، ولا يتكاسل في حمل نِيْرِ **الرَّبّ** الصالح، لأنه سوف يُكلَّل بمجد.

١٦ – **طوبى** للذي ينقي نفسه **من كل دنس الخطايا**، حتى يتقبّل بدالَةٍ في بيته **ملك المجد ربنا يسوع المسيح**.

١٧ – **طوبى** للذي يتقدَّم **إلى الأسرار الطاهرة التي للمخلص** بخوفٍ ورِعْدَةٍ، عالمًا بأنَّهُ يتقبَّل الحياة الأبدية في داخله.

١٨ – **طوبى** للذي **يتأمل الموت كل يوم**، ويمحي **الأهواء الدنيئة المعشِّشة** في قلبه، لأن هذا سوف يتعزَّى في لحظة انفصال جسده عن روحه.

١٩ – **طوبى** للذي **يتذكر خوف جهنم باستمرار**، ويُسرع بدموع وتنهدات ليتوب توبة صادقة في **الرَّبّ**، لأن هذا سوف ينجو من **الضيق العظيم**.

٢٠ – **طوبى** للذي يتَّضِع بصورة متواصلة اختياريًّا، لأنه سوف يكلَّل بواسطة ذاك الذي وضع **نفسه** طوعًا من أجلنا.

٢١ – **طوبى** للذي يجلس في قلايته بكل تقوى، كما فعلت **مريم** عند قدمي **يسوع**، وكما أسرعت **مرثا** لاستقبال **الرَّبّ المخلص**.

٢٢ – **طوبى** للذي يُشْعِل ذاته **بمخافة الله**، محافظًا على حرارة **الرُّوح القُدُس** دائمًا، ومُحْرِقًا **أشواك الأفكار الشِّريرة**.

٢٣ – **طوبى** للذي **لا يُدَنِّس يديه بأعمال رديئة كملعون**، لأن هذه الأفعال سوف تُدان في **اليوم الرهيب** أمام **الرَّبّ**.

٢٤– **طوبى** للذي يبذر أفكارًا صالحة جيدة في كل وقت، ويتغلَّب بالرَّجاء **على الكآبة الرديئة**، التي تحارب نُسَّاك **الرَّبّ**.

٢٥– **طوبى** للذي أصبح كمحارب شجاع في عمل **الرَّبّ**، مُنهضًا المتهاملين، ومُحرِّكًا المتوانين في طريق **الرَّب**.

٢٦– **طوبى** للذي أصبح مُثمرًا في **الرَّب**، حتى يتخذ **الملائكة القديسين** حُراسًا له، كما يكون المزارع حارسًا للشجرة المحملة بالثمار.

٢٧– **طوبى** للذي يحب الوداعة بفهم روحي، ولا **تخدعه الحيَّة الشَّريرة**، متخذًا الله الصالح والشفوق رجاءً له.

٢٨– **طوبى** للذي يكرّم **القديسين** ويحب قريبه، وقد **طرد الحسد** من نفسه، هذا الذي أصبح **قايين بسببه قاتلًا لأخيه**.

٢٩– **طوبى** للذي ينتهر (**الشيطان**) **المستبدّ**، ولا يتخاذل أمام **لهيب الشهوات**، لأن نفسه سوف يندِّيها ندى **الرُّوح القُدُس**.

٣٠– **طوبى** للذي **لم يدع غشاوة الظلام الشيطانيَّة تُعشِّش** في فكره، فتحرمه من النور اللذيذ ومن فرح الصديقين.

٣١– **طوبى** للذي استنارت عينا قلبه ليشاهد **الرَّب** دائمًا، كما في مرآة، لأن مثل هذا يستريح **من الأهواء ومن الأفكار الشِّريرة**.

٣٢– **طوبى** للذي يحب الكلام الصالح المستقيم، **ويمقت الكلام الدنيء الهدّام**، لأن مثل هذا لن يصير **أسيرًا للشِّرير**.

٣٣– **طوبى** للذي ينصح قريبه في مخافة الله، ولا يُضلّ نفسه، خاشيًا في كل لحظة **عصا الراعي الصالح الحديديَّة**.

٣٤– **طوبى** للذي يطيع قريبه بحسب مشيئة الله، ويحتمل الضيقات بشكر، لأن مثل هذا سوف يُكلَّل، وسوف يصير معترفًا **للرَّب**.

٣٥– **طوبى** للذي لا يسيطر عليه **هوى الكآبة كجبان**، بل يتحلَّى **بالاحتمال والصبر**، هذا الذي بواسطته فاز **القديسون** بالأكاليل.

٣٦– **طوبى** للذي يحب ضبط النفس بمرضاة الله، ولا **يُدان بسبب بطنه كمتنعم وَمُدَنَّس**، لأن مثل هذا سوف يعظّمه الله.

٣٧– **طوبى** للذي **لا يسكر بالخمر كضالٍ**، بل يفرح في كل حين بذكر **الرَّب**، الذي يبتهج به **القديسون** بتواصل.

٣٨– **طوبى** للذي يدبّر بمرضاة الله ممتلكاته، ولا يُدان من الله **المخلِّص كمُحبٍ للمال وعديم الشفقة** على قريبه.

٣٩– **طوبى** للذي يسهر في الصلوات والقراءات والعمل الصالح، لأن مثل هذا سوف يستنير **ولا ينام في الموت**.

٤٠– **طوبى** للذي أصبح شبكة روحيَّة صالحة، يتصيّد كثيرين **للسيِّد الصالح**، لأن مثل هذا سوف يمدحه **الرَّب** كثيرًا.

٤١– **طوبى** للذي أصبح نموذجًا حسنًا للقريب، دون أن يعثر ضمير زملائه الخدام فاعلًا ما لا يجب فعله، لأن مثل هذا سوف يباركه **الرَّبّ**.

٤٢– **طوبى** للذي أضحى طويل الأناة وشفوقًا، **ولم يستعبده البربريّ، أعني الغضب الشِّرير**، لأن مثل هذا سوف يرفعه **الرَّب**.

٤٣– **طوبى** للذي ارتفع بالمحبة، صائرًا مثل مدينة مؤسَّسة على جبل، التي منها **يتراجع العدو بخوف مرتعدًا** من صمودها في **الرَّب**.

٤٤– **طوبى** للذي أشرق بإيمانه **بالرَّبّ**، كمصباح منير موضوع على منارة عالية، ينير نفوسًا **مظلمة قد اتّبعت بدعة الجاحدين** غير المؤمنين.

٤٥– **طوبى** للذي يحب الصدق باستمرار، ولا يستخدم فمه **كأداة للكذب**، لأنه يخاف من الوصيَّة التي تتعلق بكل **كلمة بَطَّالَةٍ**.

٤٦– **طوبى** للذي لا يحكم على قريبه كإنسان عديم الحكمة، بل بحصافة روحانيَّة يجاهد لكي يُخرج الخشبة من عينه الخاصة.

٤٧– **طوبى** للذي أزهر قلبه كنخلةٍ، بإيمان مستقيم، ولم تطعنه **بدعة الجاحدين غير المؤمنين كما من أشواك**.

٤٨– **طوبى** للذي أصبح سيِّدًا على عينيه، ولم يغوِه – **لا عقليًّا ولا حسيًّا** – جِلْدُ البشرة الذي سوف **يذبل** سريعًا.

٤٩– **طوبى** للذي يضع أمام عينيه **يوم الرحيل**، وقد ٱزدرى **الكبرياء**، قبل أن يظهر **فساد طبيعتنا في القبر ونتانتها**.

٥٠– **طوبى** للذي **يفكر بالنائمين في أكفانهم في القبور، ويبعد عن كل شهوة كريهة**، لأنه سوف يقوم بمجد عندما يُنفخ بالبوق السماوي موقظًا أبناء البشر كلهم.

٥١– **طوبى** للذي يتأمَّل بحكمة روحيَّة جوقة النجوم الساطعة بمجد، وجمال السماوات، ويشتاق لرؤية **صانع الكُلّ**.

٥٢– **طوبى** للذي يتذكَّر النار التي نزلت على جبل سيناء، وأصوات الأبواق، **وموسى** المنتصب في الوسط بخوف ورعدة، ولا يتراخى في سبيل خلاصه.

٥٣– **طوبى** للذي لا يضع رجاءه على البشر، بل على **الرَّب**، الذي يأتي ثانية بمجدٍ كبير لكي يدين المسكونة كلها بعدل، لأنه سوف يصير كشجرة مثمرة على مجاري المياه.

٥٤– **طوبى** للذي صار ذهنه بنعمة الله، كسحابة مليئة بالمطر، يروي نفوسًا لازدياد ثمار الحياة، لأن مديحه سوف يمتد في مجد لا نهائي.

٥٥– **طوبى** للذين يسهرون باستمرار بحسب مشيئة الله، لأن الله سوف يظلّلهم في يوم الدينونة، ويصبحون أبناء العريس، ويشاهدونه بابتهاج وسرور. بينما أنا والذي على شبهي المتهاملون **ومحبو اللذة** سوف **يبكون وينوحون** عندما يرون أخوتهم في المجد غير المدرك **وهم يتعذبون**.

رسالة إلى ضرير

بقلم

القديس يرونيموس

أَمَّا وأنا أكتبُ الآن إليك، فإني أرجو منك ألَّا تنظُر إلى مصيبة حلَّت بِكَ في جسدك **على أنها عقاب لك على خطيئةٍ**. فعندما ارتاب **الرُّسُل** بشأن **المولود أعمى**، سألوا **الرَّبّ يسوع**: « يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟». أَجَابَ يَسُوعُ:«لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ.» (يو٩: ٢-٣).

أَلَسْنَا نرى العديد **من الوثنيين واليهود والهراطقة** وسواهم من المارقين (مَارِق (اسم) وتعني:خَارِج، عاصٍ، مُتَمَرِّد)، **يتمرغون في حمأة الشَّهوات، ويستسيغون طَعم الدماء، ويفوقون الذئاب والعِقْبان شراسةً ونهمًا**، ومع ذلك لا يُصيبهم **شرٌّ**، ولا تدنو من خبائهم **ضربةٌ**؟ ولأنهم لم يُضربوا، ازدادوا **قِحَةً** ورفعوا وجوههم في وجه **اللهِ** والسماء. ومن جهة أخرى نرى **الأبرار** يُبتلون بالمرض والبؤس والفاقة حتى يُغرَوا بالقول: «حَقًّا قَدْ زَكَّيْتُ قَلْبِي بَاطِلاً وَغَسَلْتُ بِالنَّقَاوَةِ يَدَيَّ.» (مز٧٢: ١٣)، وسرعان ما يستدركون: «لَوْ قُلْتُ أُحَدِّثُ هكَذَا، لَغَدَرْتُ بِجِيلِ بَنِيكَ.» (مز ٧٢: ١٥).

إذا اعتبرت أنَّ **الخطيئة** هي سببُ عماك، وأنَّ غضب **اللهِ** هو حتمًا وراء مرضٍ غالبًا ما يقوى الطبيب على شفائه، فَسَتَحْسِبُ **إسحق الأعمى خاطئًا** لكونه ضُلِّلَ فَبَارَكَ من لم يكن في نيَّته مباركته (**يعقوب**) (تك ٢٧). وستحسب **يعقوب خاطئًا** لأن بَصَرَهُ كَلَّ عن رؤية **أفرايم ومنسَّى** (تك ٤٨)، على أنه استطاع أن يرى بعين البصيرة وبروح النبوَّة المستقبل البعيد **والمسيح** الآتي من صُلبه (تك ٤٩).

وهل كان **ملكٌ أبَرَّ من يوشيا؟** وها هو يُقتَل **بسيف فرعون مصرَ؟** (٢ مل ٢٣). وهل كان **أقدس من بطرس وبولس؟** وها هي **دماؤهما تَصْبَغُ سيف نيرون**. ولكي لا أطيل الكلام على البشر، ألم يُقاسِ **ابن اللهِ التعذيب وموت العار على الصليب؟ وأنت لا تزال تتوهَّم أنهم مباركون أولئك الذين ينعمون في ملذات وخيرات هذا العالم ؟؟؟**

إنَّ أشدّ غَضب **اللهِ** حمأة على **الخطأة**، يكون حين يكبتُ عنهم كل غضب. لأجل ذلك يُخاطب أورشليم على لسان **حزقيال** قائلًا: «وَأُحِلُّ غَضَبِي بِكِ فَتَنْصَرِفُ غَيْرَتِي عَنْكِ، فَأَسْكُنُ وَلاَ أَغْضَبُ بَعْدُ.» (حز١٦: ٤٢). «لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ» (عب١٢: ٦). إنَّ الأب لا يؤدِّب ابنه إلَّا بمقدار **ما يُحبُّه**. والمعلم لا يُهذّب تلميذه إلا بمقدار ما يراه واعدًا. وإفراط الطبيب في القلق على مريض، دليل على اليأس من شفائه. بل عليك أن تقول: كما تحمَّل «لِعَازَرَ البَلاَيَا» (لو١٦) فإنِّي سأقتبل بفرح العذاب الذي يؤهلني إلى المجد المُعدِّ لي، حيثُ «لاَ يَقُومُ الضِّيقُ مَرَّتَيْنِ.» (ناحوم ١: ٩). وفي سفر **أيوب الصِّدِّيق البارّ** ما يشرح **معاناته الرهيبة مع البلايا** التي نزلت به.

ولئلا أستفيض من غير طائل، وأتخطى حدود الرسالة، مُكررًا سرد روايات قديمة، فسأروي لك باختصار حادثة سمعتها في طفولتي. لقد دعا **قداسة أثناسيوس أسقف الإسكندرية أنطونيوس البارّ** لزيارة المدينة، لمساعدته في دحض **حُجج الهراطقة**. وبعدها مباشرة أتى المدينة **ديديموس وهو رجل ضرير علاَّمة، ليزور الناسك العظيم**.

وإذ دار الحديث حول الكتاب المقدس، لم يتمالك **أنطونيوس** من كتم إعجابه بعلمه وامتداح نفاذ بصيرته.

فقال: «لا بدَّ أنك غير آسف على فقد عينيك؟»

ارتبك **ديديموس**، بادئ الأمر، وحارَ جوابًا. فلما أعاد عليه **أنطونيوس** السؤال ثانية وثالثة، إعترف **بأنَّ عماه كان له مصدر حزن وأسى**.

عندها قال **أنطونيوس**: «أعجب لأن يحزن رجل حكيم على فقدان ملَكَةٍ يُشاركه فيها النملُ والذبابُ والحشرات، ولا يفرحُ بالأحرى، بملَكَةٍ لم يحظَ بها سوى الصديقين والرسل».

من هذه الرواية، بوسعك أن تستشفَّ، كم أنَّ عين الرُّوح أبهى من **عين الجسد**، وخيرٌ لك أن تمتلك عينًا لا تقوى **خشبة الخطيئة** على أن تسقط فيها كما قال **المخلِّص**: «لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟» (لو ٦: ٤١).

من أقوال القديس اكليمندوس الاسكندري

الله المحبّ الرحوم أطلق بنفسه الجسد من أسره، وحرَّره من عبودية الهلاك، العبودية المرَّة المُميتة، ومنحه الخلود في الأبديَّة. بذلك منح الجسد البشري عطيَّة الأبديَّة المقدسة، فجعله خالدًا غير مائتٍ إلى الأبد.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف
المرج الخمس
سوتوس
خوندروبولوس

الفصل السادس عشر

كان **فوتيوس** بالطبع من أتباع **الملكة أولغا**، ومنافسٌ **للقديس نكتاريوس** في الانتخابات الأخيرة (أنظر مجلة عدد رقم ١٧٠، صفحة ٢٣ تشرين أوّل ٢٠٢١)، إلّا أنَّهُ لم يحتفظ بأيِّ ذكرى سيِّئة عنه، ولم يحمل له أي حقد، بل كان يحبّه. أجل كان يحبّه من كُلِّ قلبه، ويذكره في صلواته لأجل بلاد النيل.

كان **فوتيوس** من جزر **كيكلاديس**. وقد عُرِفَ سكان هذه الجزر باستقامتهم الشَّديدة. وكان نكتاريوس على يقين بأن **فوتيوس** سيَحِلّ له مشكلته وأنَّ حياته ستَتَغَيَّر. ومن يدري ما هي الجهادات الجديدة والجهود التي تنتظره على الأرض الأفريقيَّة !

وهكذا فقد كان حدسه يُنبئه بأنَّ رغبته في التوَحُّد لَنْ تتحَقَّق في وقتٍ قريب. وكان يُحضّر صديقه الأمين كوستي بلطفٍ للانتقال من ذلك المكان في وقتٍ معروف. وكان ذلك قبل وفاة والدة كوستي بوقتٍ قصير. وقد سأله مرَّةً:

– هل تُحب أن تُقيم في مصرَ يا كوستي!

– كثيرًا يا صاحب السِّيادة! يقولون إن السماء هناك لا تُمطِر على الإطلاق. ولا وجود للثلج ولا للغيوم ولا للرياح الشماليَّة. فهل تتصوَّر نفسك دون مدفأة، ودون منقل؟

– لكن للمناخ سيِّئات أُخرى.

–ما هي يا صاحب السِّيادة؟

– الحرارة لا تُحتَمَل، ورطوبة الجوّ خلال الليل، والذباب المنتشر خصوصًا في الأحياء الشعبيَّة، والقذارة، وكُلّ ما يتبع ذلك ...

– إلى هذه الدرجة؟

– لقد قام الانكليز بكثير من أعمال الإنماء في الآونة الأخيرة.

– الحرارة والرطوبة! هذا ليس بالأمر الخطير. ولن يكون مُزعِجًا. ليتنا نذهب إلى هناك! سنأكل الموز والبلح طوال السنة.

فابتسمَ نكتاريوس لسماعه كلمات كوستي الأخيرة. وكان سعيدًا في أعماقه، سعيدًا لتفكيره **بالمسيح** والقيامة. ولكنه لا ينسَى أبدًا أنَّ هذا «**الفندق المِضْيَاف**» – **كما كان يُسمَّى كوكب الأرض** – هو مكان للتطهُّر.

فيما حوله كان العالم مليئًا بإخوته غير المبالين بيوم الدينونة الآتي، والمُشَكِّكينَ بخلود الرُّوح. وكانت واجبات الكاهن ومسؤولياته تخزّه كالأشواك الحادَّة عندما يفكِّر في هذا العالم **المليء بالاحتيال والأهواء والآلام الرهيبة التي لا نهاية لها**. وكان شعوره بالواجب يملأه بالفرح والتعاسة والقَلق في آن. وكان يزداد اقتناعًا كُل يوم بأنَّ **فوتيوس** سوفَ يُنصفه، وأنَّهُ سيرحل من جديد باتجاه البلدان الجنوبيَّة، وأرض المنفَى التي عاشَ عليها **المسيح وأمّه القديسة** وأبوه بالتبنِّي (البار يوسف). وكان يُعلِّق كُلّ الأهميَّة على تلك الرسالة التي بعثها إلى **فوتيوس**.

ولكن انتظاره كان دون جدوى.

فقد كان يأمل أن يصله الردّ على رسالته في غضون أربعين يومًا. ولكن أعياد الخريف مرَّت وجاء **عيد الميلاد، ومرفع اللحم، ثمَّ الصوم الكبير**، ولم يصله شيء. **لماذا؟** لماذا لا يرى الناس جمال الفضيلة؟ **لِمَ يسقطون إلى هذه الدركات الدنيا؟ وَلِمَ لا يلاحظون غير الأمور الفاسدة التافهة، والتي تمرّ بسرعة؟** لِمَ يقرأون الإنجيل بطريقة أدبيَّة وسطحيَّة؟

كانت هذه المسائل غائبة عن الطرح: بل كان القرن العشرون يرمي الأوراق الذهبيَّة من أعلى مركبته ويوزِّع الوعود بسخاء، فيفقد الناس معنى التجربة ومعنى السِّرّ. كان يصرخ مصفِّقًا لانتصارات العِلم ويطنب في إطراء الماديَّة القديرة.

كان نكتاريوس قد أرسلَ رسالة مضمونة، لكنه عَلِمَ من مصادر موثوقة بِأَنَّ **البطريرك الجديد قد تَسَلَّمَ الرسالة ووضعها في أحد أدراجه.**

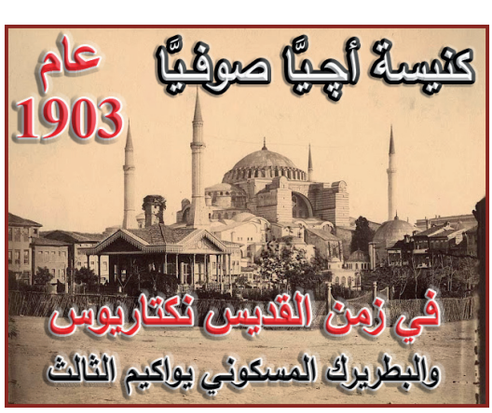

وَحَلَّ الصيف بحرارته وبعوضه، ثُمَّ رَحَلَ، ولم يَصِلِ الرَّدّ بعد. وانقضَت سنة وحَلَّ خريف **العام ١٩٠٣** ونكتاريوس لا يزال يحتمل عبء الأقاويل الثقيل، وسخرية الذين يزدرون بكلّ ما هو جَيِّد. فقرَّر أن يلعب ورقته الأخيرة دون أملٍ كبيرٍ بالنجاح. وكتبَ إلى القسطنطينيَّة، إلى **البطريرك المسكوني يواكيم الثالث** الذي كان يعتلي **الكرسي المسكوني** بعد فترةٍ من الزمان قضَاها في المنفى. وكان يونانيًّا حقيقيًّا، لكنه كان كالطائر المقصوص الجناحَيْن. وقد عُرِفَ عنه أنَّهُ كاهن شديد الذكاء، دمث الأخلاق ونبيل النفس. وكان أوَّل من فَهِمَ وتنبَّأَ **بأنَّ الحركة الديمقراطيَّة للشبان الأتراك، ستجلب الكارثة** على **اليونانيين الشرقيين**.

فكتب له نكتاريوس رسالة موجعة ومأساويَّة نوردها كاملة:

(التتمة في العدد القادم)

الأحد الأول من الصوم أحد الأرثوذكسية

هذا الأحد هو الأحد الأول من الصوم ويسمي «**بأحد الأرثوذكسيَّة**» وفيه تُقيم الكنيسة الأرثوذكسيَّة تذكار رفع الأيقونات المقدسّة وتكريمها بعد فترة طويلة من الاضطهاد عُرفت «**بحرب الأيقونات**» والتي استمرت حوالي **١٢٠ عامًا** وتخلَّلها انعقاد المجمع السكوني السابع **عام ٧٨٧ م** خلال حكم **الإمبرطورة إيريني** انتهت هذه المرحلة عندما قامت **الإمبرطورة تيودورة** بوقف **الاضطهاد** والقيام بزياح كبير بالأيقونات المقدسّة وقراءة «**السينوذيكون**» وهو بمثابة مستند رسمي **يُحرِّم فيه جميع الهراطقة** الذين **حرَّفوا تعليم الكنيسة الأرثوذكسيَّة ويُلقي عليهم الحِرْم** (**أي الطرد التام من الكنيسة الرسوليَّة ومن كل شركة معها في الأسرار المقدسة**)، **ويُطوِّب أولئك الذين دافعوا عن الإيمان المستقيم**.

نقرأ من صلاة سَحَر العيد: « لقد ظهر اليوم نهار سرور مستوعب حبورًا. الآن يسطع لامعًا بهاء الاعتقادات الحقيقيَّة لأن كنيسة المسيح تتلألأ الآن مُزيَّنة برفع أيقونات القدّيسين وصورهم المُضيئة وحصل اتحاد المؤمنين الصائر بالموازرة الإلهيَّة».

القراءة الإنجيلية في الأحد الأوَّل هي من إنجيل (يوحنا ١ : ٤٣-٥١) وتتضمن دعوة **يسوع** إلى **فيليس** أن يتبعه ويليها دعوة **فيليس** لصديقه **نثنائيل** قائلًا له: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءُ يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ» (يو١:٤٥). وعندها قال له **نثنائيل** مستغربًا: «أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟» قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ:«تَعَالَ وَانْظُرْ» (يو١:٤٦)، ومن ثم لقاء **الرَّبّ يسوع** مع **نثنائيل** الذي أكَّدَ له قائلًا: «مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلاَئِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ» (يو١:٥١).

لا توجد علاقة مباشرة بين تذكار الأحد والقراءة الإنجيليَّة وإن كان من الممكن إيجاد بعض الرابط. تُشدّد قراءة غروب وصلاة سَحَر أحد الأرثوذكسيَّة على أهميَّة **سرّ التجسّد** وهذا أساسي وجوهري في عقيدة الكنيسة الأرثوذكسيَّة ولاهوت الأيقونة.

لقد كان تحريم التصوير في **العهد القديم**:«لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ.» (خر٢٠:٤). تعود نفس الوصية في سفر التثنية (٥: ٧-٩). لقد كان هذا التحريم سببه ردع **الشعب العبراني من الوقوع في خطيئة عبادة الأوثان**. هذا كان قبل التجسّد حيث أنَّ «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ.» (يوحنا ١:١٨)، وأيضًا حيث كان لا أحد يرى وجه **الله** ويعيش. «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خروج ٣٣:٢٠).

ولكن في **العهد الجديد** ومع تجسّد **كلمة الله** حيث أنَّ «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا.» (يوحنا١:١٤). أصبح **الله** الذي لم يَرَه أحدٌ قطُّ ، مُشاهدًا بالجسد من خلال **الابن الوحيد**.

إذًا من بعد التجسّد أصبح بالإمكان كتابة أيقونة **للرَّبّ يسوع، كلمة الله** المتجسّد، هذا ما تؤكده الكنيسة الأرثوذكسيَّة عبر مجامعها المقدسّة وبخاصة المجمع المسكوني السابع وعبَّرَ عنه **الآباء القدّيسون كالقديس يوحنا الدمشقي والقديس ثيودوروس الستوديتي**.

يقول **القديس يوحنا الدمشقي**: « في الأزمنة السابقة، لم يكن من الممكن تصوير الله والذي هو بدون شكل أو هيئة، ولكن الآن عندما أصبح الله منظورًا بالجسد ومتحدثًا مع البشر، فنحن نصنع صورة للإله الذي نراه، «نحن لا نعبد المادة ولكن نعبد الإله خالق المادة والذي اتّخذ جسدًا من أجلي.»

نقرأ في **صلاة غروب العيد**: «هلم نقدّم لله تسبيحًا شُكريًّا ونسجد سجودًا إكراميًّا لأيقونة المسيح وأيقونة الفائق طُهرها وَصُوَر جميع القدّيسين المرسومة على الجدران والألواح والأواني المقدسّة داحضين نفاق اعتقاد ذوي الرأي السَّيِّء، لأن إكرام الصورة يقول باسيليوس الكبير يجوز إلى عنصرها الأول متوسّلين إليك أيها المسيح الإله بطلبات والدتك النقيّة وجميع قدّيسيك أن تمنحنا الرحمة العظمى».

في تعليم الكنيسة هناك تمييز عقائدي واضح بين **التكريم والتبجيل الواجب للأيقونات المقدّسة** وبين العبادة والسجود الواجب **لله**. إنَّ التكريم هو في الحقيقة يعود إلى الشخص الممثَّل على الأيقونة . هذا التميّز يحمي تكريم الأيقونات من تهمة الوقوع في **عبادة الأصنام**. «إنَّنا نعبد المسيح ونُكرِّم القديسين وعلى رأسهم والدة الإله، وبالتالي نحن لا نُكرِّم المادة (الخشب والحجارة) بل الكائن المرسوم فيها، أي ما تُمثله» هذا ما أوضحه القديس باسيليوس الكبير قائلًا: إن التكريم الممنوح للأيقونة هو يجوز بحقّ إلى عنصرها الأول أي إلى ما تُمثله الأيقونة» (**ثيودوروس الستوديتي**).

تبقى الأيقونة كواسطة أو أداة للعبادة تربطنا مع **الله**. تضعنا الأيقونة في حضرة **الرَّبّ**. نضعها في بيوتنا أو مكان عملنا لتباركها ولأنَّنا بهذه الطريقة نجعل من **الرَّبّ يسوع مركز حياتنا**.

إذًا **أحد الأرثوذكسيَّة** يُشدِّد على **تعليم الكنيسة المستقيم** وعلى

عقيدة التجسّد **الإلهي** والتي اختارت **الكنيسة المقدسّة** أن تضع **أحد الأرثوذكسية في بداية الصوم الكبير** لتقول لنا: **أنَّ استقامة الأعمال تتطلب استقامة الإيمان (العقيدة) واستقامة العقيدة تترجم باستقامة الأعمال أي الصوم والصلاة والصدقة. استقامة المُعتقد (ارثوذوكسيَّة) واستقامة الأعمال (أرثوبراكسيَّة) لا ينفصلان عن بعضهما البعض.**

الرابط الذي نراه بين إنجيل اليوم وأحد الأرثوذكسية ورفع الأيقونات المقدسّة، أنَّ ما كان مُحرَّمًا ومستحيلًا على البشر في **العهد القديم** أصبح مُستطاعًا ومُباركًا في العهد الجديد مع تجسّد **كلمة الله**، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس. لو لم يكن **المسيح** قد أخذ جسدًا وصار بشرًا لما كان بمقدور **فليبس** أن يدعو **نثنائيل** قائلًا له: «تَعَالَ وَانْظُرْ». لقد سبق **يوحنا المعمدان** وأعلن لتلاميذه قائلًا:«وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ» (يوحنا١: ٣٤). يعود **الرَّبّ يسوع** ويقول **لنثنائيل**: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلاَئِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ». (يوحنا ١: ٥١).

لقد أصبح **الرَّبّ يسوع الجسر الواصل بين السماء والأرض**، «لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ أَيِ الْعَدَاوَةَ.» (أفسس ٢: ١٤-١٥).

«لصورتك الطاهرة نسجُد أيها الصالح، مستمديّن مغفرة الخطايا أيها المسيح إلهنا، لأن بمشيئتك سُررتَ أن تَصعد بالجسد على الصليب، لتُنجّي الذين خَلَقْتَ من عبودية العدوّ، فلذلك نهتف إليك بشكرٍ: لقد ملأتَ الكل فرحًا يا مخلصنا إذ أتيتَ لتُخلص العالم». آميـن

المتروبوليت باسيليوس (قدسية)
متروبوليت استراليا ونيوزيلندا والفلبين للرُّوم الارثوذكس
(البطريركيَّة الأنطاكيَّة)

السيِّد أليكساندروس فارساتيس، من شارع أكريتا ٣١، منطقة خايداري – أثينا في اليونان، يحدثنا قائلًا (**الكلام موجَّه الى دير ماليفي العامر للرُّوم الأرثوذكس**).

أنَّ ابنه المدعو **ديمتريوس فارساتيس**، لم يتكلَّم إطلاقًا نحو ثلاث سنين متواصلة.

سمعنا الكثير عن **دير رقاد العذراء ماليفي العامر للروم الأرثوذكس** في أركاديا في بيلوبونيسو في اليونان المشهور بالعجائب التي **تصنعها والدة الإله الكليّة القداسة**.

ذهبنا لزيارة هذا الدير المقدس لنطلب شفاعة **العذراء مريم** بحرارة متَّقدة وصلواتٍ لجوجة، حيثُ ذرفنا فيها الدموع الحارَّة طالبين من **أم النور** أن تتشفَّع فينا وتُعيد الصوت إلى ابننا الغالي ديمتريويس.

قامت رئيسة الدير برشم الصبيّ بعلامة الصليب ودهنته بالميرون المقدَّس.

حصلت المعجزة، بعد عودتنا إلى البيت، ابتدأ الصبي بالكلام والتحدُّث، رجعنا ثانية إلى **دير ماليفي اليوم ١٥ تموز ٢٠٠٣** لنشكر **العذراء والدة الإله** ومعمّدنا الطفل ديمتريوس.

«كما أن الأدوية والجراحة والمعالجة بالكيّ هي للطبيب كذلك التأديب هو لله. وكما تُستعمل النار كثيرًا للمعالجة بالكيّ لمنع انتشار العدوى، وكما تزيل أداة صلبة اللحم المتعفن – مسببة ألمًا لكن مقدمةً نفعًا – كذلك **الجوع والمرض والتجارب الظاهرة الأخرى** تستخدم على الرُّوح بدلًا من النَّار والأداة الصلبة، لمنع انتشار المرض ولكي تجعل الرُّوح أفضل»

القديس يوحنا ذهبي الفم (عظة ٥ على مثل الغني ولعازر)

« الرجل الغنيّ هو مجرد خادم ووكيل على المال المخصَّص للتوزيع على الفقراء، فهو مُكلَّف بتوزيعها على رفقائه العبيد المحتاجين، فإن أنفق أكثر من احتياجه على نفسه سيجازَى بعقوبة قاسية في الحياة الأخرى، لأن ممتلكاته الخاصة ليست له بل تخص زملاءه العبيد».

القديس يوحنا ذهبي الفم
(عظة ٢ على مثل الغني ولعازر)

١– صليب الرَّبّ هو فخرنا العظيم

إن كل عمل فعله **المسيح** هو بمثابة **فخر للكنيسة الجامعة**، لكن أكثر الأعمال فخرًا هو **صليبه**. **وبولس الرسول** يعرف هذا الأمر، لذا قال: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غلا٦:١٤).

لأنه كان أمرًا عجيبًا أن يرى (يستعيد نظرَهُ) المولود أعمى في بركة سلوام (انظر يو٩:٧)، لكن هذا الأمر العجيب والمدهش لم يحمل أي فائدة لعميان المسكونة كلّها. وكان بالتأكيد أمرًا مُدهشًا وعظيمًا وفوق طبيعي، **أن يقوم لعازر بعد أربعة أيام من موته**، لكن نعمة القيامة قد انحصرت **فقط فيه**. وأتساءل **ما هي نتيجة قيامته على الذين كانوا أمواتًا بالخطايا في كُلّ المسكونة؟** أيضًا لهو أمرٌ عجيب أن يُطعِم **المسيح** خمسة آلاف نفس من خمس خبزات (انظر مت١٤:٢١)، لكن ما نتيجة هذه المعجزة بالنسبة للذين **يجوعون جهلًا**. **جهل** معرفة **الله** في كل المسكونة؟ «هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، أُرْسِلُ جُوعًا فِي الأَرْضِ، لاَ جُوعًا لِلْخُبْزِ، وَلاَ عَطَشًا لِلْمَاءِ، بَلْ لاسْتِمَاعِ كَلِمَاتِ الرَّبِّ.» (عاموس٨:١١) . كذلك أمرٌ عجيب **أن تنحلّ المريضة المربوطة منذ ثمانية عشر عامًا من الشيطان وتنفك قيودها**، لكن ما نتيجة ذلك بالنسبة لنا نحن **المقيدون بشدة بحبال خطايانا؟** (انظر أمثال ٥:٢٢).

٢– مات **المسيح** لأجلنا على **الصليب** وفدَى كلّ العالم، لأن الذي مات لأجل الجميع لم يكن **مجرَّد إنسان** بل **ابن الله** وحيد الجنس. إن كانت **الخطية** تمكّنت بإنسان واحد – **آدم** – أن **تحمل الموت** إلى العالم، أي **بخطية** الإنسان الواحد – **آدم** – **سادَ الموت** على العالم، كيف لا تملك الحياة بالأكثر **ببرِّ** الإنسان الواحد **يسوع المسيح؟** (انظر رومية ٥:١٧).

وإن كان **الأبوان الأولان طُردا** من الفردوس لأنهما أكلا من ثمار الشجرة (انظر تك٣:٢٤). فكم بالحريّ يدخل بسهولة **كل الذين يؤمنون** إلى الفردوس بفضل شجرة **صليب يسوع؟**

إن كان المخلوق الأول من الأرض **جلبَ الموت** إلى كل المسكونة، كيف لخالقه الذي كوّنه من الأرض (راجع تك٢) لا يُحضِر الحياة الأبدية، إذ أنَّهُ **الحياة؟** (يو١٤:٦).

إن كان **فينحاس** الذي قتل – من غيرته – الذي فعل أفعالًا قبيحة وأوقف غضب **الله** (راجع عدد ٨:١١)، أليس **المسيح** الذي لم يقتل أحدًا بل أعطى ذاته **فِدْيَةً** (انظر ١تيمو٢:٦) لا يستطيع أن يُزيل **الغضب المضاد للبشر؟**

٣– ذبيحة المسيح على الصليب أبطلت كل الذبائح ومنحت الخلاص

إذًا دعونا لا نخجل من **صليب المخلّص** بل بالحريّ نفتخر به. لأن الافتخار بالصليب هو عثرة لليهود وجهالة للأمم. «وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!» (١كو١:١٨–٢٣)، لكن بالنسبة لنا هو **خلاص** إذ بالنسبة لأولئك الذين يتبعون **طريق الهلاك هو جهالة**، أما بالنسبة لنا نحن الذين خَلُصنا هو **قوة الله** (١كو١:١٨). لأنه لم يكن **المسيح مجرد إنسان** مات لأجل كل البشر بل هو **ابن الله** الذي تأنَّس.

إن كان في زمن **موسى** طَرد حمل الفصح الملاك الذي أراد أن **يُهلك** البشر، طَرَدَهُ بعيدًا «فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ وَلاَ يَدَعُ الْمُهْلِكَ يَدْخُلُ بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَ.» (خر ١٢:٢٣)، ألا يُحرّر بالأكثر حمل **الله**، **المسيح**، الذي يرفع خطية العالم، **من الخطايا؟** أيضًا إن كان دم الحمل غير العقلي منَحَ نجاةً، ألَا يُخلِّص بالحري جدًّا **دم ابن الله** وحيد الجنس؟

إن كان أحد لا يؤمن بقوة **المسيح** الذي صُلِب، فَلْيَرَ ما صار **للشياطين**. إن كان المرء لا يؤمن بالأقوال، فليؤمن من جراء الأمور التي ظهرت عِيَانًا. كثيرون في كل المسكونة صُلبوا، لكن ولا واحد من هؤلاء **أخافوا الشياطين**، بل بمجرد أن يروا علامة **صليب المسيح** الذي صُلِب لأجلنا **يرتعدون خوفًا**. هذا صار لأن الآخرين ماتوا على الصليب **بسبب خطاياهم**، أما **المسيح** فمن **أجل خطايا الآخرين**. لأنه يقول: «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١بط ٢:٢٢). وليس **بطرس** فقط يقول هذا، حتى لا يرتاب أحدٌ ظانًّا أنه يتفضل على معلّمه، إذ أن **إشعياء النبي** يقول هذا الأمر **إشعياء**، الذي لم يكن حاضرًا جسديًا مع **المسيح**، قد رأى مقدمًا مجيء **المسيح** كإنسان (انظر إش٥٣:٩). ولماذا أقدم الآن شهادة النبي؟ خُذ **شهادة بيلاطس** الذي حَكَمَ عليه، يقول: « لَمْ أَجِدْ فِي هذَا الإِنْسَانِ عِلَّةً مِمَّا

تَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ.» (لو٢٣: ١٤). وبينما هو يُسلّمه ليُعاقَب – بعد أن غسل يديه – قال:«إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ!» (مت٢٧: ٢٤). يوجد شهادة أخرى من **المسيح** البار، الذي لم يفعل خطيَّة، **شهادة اللِّص الذي هو أول مَن دخل الفردوس**، والذي وبّخ **اللص الآخر**، وقال له: «أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْل، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ» (لو٢٣: ٤١).

٤– المسيح خلَّصنا بالحقيقة وليس ظاهريًا لأن موته كان موتًا حقيقيًّا:

لقد تألم **المسيح** بالحقيقة لأجل كل البشر، **فالصليب** لم يكن **خياليًا**، إذ يترتب على ذلك أنَّ الفداء سيكون **خياليًا**. لن يكون **الموت خياليًا**، لأنه سيكون الخلاص أيضًا **أسطورة**. لو كان **الموت خياليًا**، فأولئك الذين قالوا: «يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ.» (مت٢٧: ٦٣) هم على حقّ. إذًا الألم كان حقيقيًا لأنه حقًا **صُلِب المسيح** ولا نخجل من هذا الأمر. لقد **صُلِب** ولا أنكر **المصلوب** بل بالحريّ أفتخر وأنا أقول هذا. وإذا أنكرته الآن فإن الجلجثة التي نحن مجتمعون بالقرب منها، تقنعني. أيضًا تقنعني خشبة **الصليب** التي وُزِّعَت قطعة قطعة على كل المسكونة. أَعْتَرِفُ **بالصليب** لأنِّي أؤمن **بالقيامة**. لأنه لو **ظَلَّ مصلوبًا ولم يَقُم** لما كنت أعترف بها، وكنت سوف أخفيها مع سيِّدي. لكن لأن **القيامة** أعقبت **الصليب** لا أخجل من الإفصاح عنه.

٥– المسيح الذي تألم على الصليب كان بلا خطيّة في كل شيئ:

هكذا صُلِب كإنسان مثلنا لكن ليس بسبب خطايا اقترفها، لأنه لم ينقَدْ إلى الموت **من جراء محبته للفضة**، لأنه كان يُعلِّم بعدم التملك، ولا حُكم عليه **بسبب شهوة جسدية** لأنه هو الذي قال بكل وضوح: « إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ.» (مت ٥: ٢٨). ولا لأنه **بوقاحة تشاجر أو ضرب أحدًا**، إذ أنه أدار خده الآخر إلى الذي ضربه (انظر مت٥: ٣٩ ، ٢٦: ٧). **ولا احتقر الناموس**، إذ كان مُتَمِّمًا له. **ولا استهزأ بأيّ نبيّ**، لأن الأنبياء قد سبق وتنبأوا عنه. **ولا أخذ أجرًا من أحد**، إذ كان يشفي بدون أجرٍ أو مكافأة. **لم يُخطئ بالأقوال ولا بالأعمال ولا بالأفكار** «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ»، الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل.» (١بط٢: ٢٢-٢٣). لقد تألَّم بإرادته. وحين توسّل إليه أحد وقال:«حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!» (مت١٦: ٢٢)، قال له: «اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! » (مت ١٦: ٢٣).

٦– المسيح مات بإرادته لذلك كان الصليب مجده:

وهل تريد أن تقتنع أنه أتى إلى الألم بإرادته؟ كل البشر الآخرين لا يعرفون تمامًا متى يموتون، لذا هم يموتون بدون إرادتهم. لكن **المسيح** قال مُقدمًا: «ابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ» (مت٢٦: ٢).

وهل أدركت لماذا لم يتجنَّب مُحبُّ البشر **الموت**؟ لكي **لا يهلك العالم في خطاياه**. لقد قال: «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ» (مت٢٠: ١٨)، إذ مكتوب أيضًا: «ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (لو٩: ٥١).

هل تريد أن تعرف جيِّدًا أنَّ **الصليب** هو مجد **يسوع**؟ لقد سمعته يتحدث وليس أنا، **حين خان يهوذا وأنكر عرفان سيده**. لقد خرج من المائدة وبدلًا من أن يتبارك بشراب الخلاص شرَع في أن **يسكب دم البارّ**: «الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ!» (مز٤١: ٩) وبينما **هيَّأ نفسه ليخون المسيح لأجل المال**، قال له **المسيح**: «أَنْتَ قُلْتَ» (مت٢٦: ٢٥)، أي **أنت قلت أنك خائن**، خرج بعدها لكي يخونه. ثم بعد ذلك قال **المسيح**: «قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ.» (يو١٢: ٢٣). وهذا لا يعني أنه قبل ذلك لم يكن له مجد، لأنه كان مُمَجَّدًا بالمجد الأبدي، وبكونه **إلهًا** كان مُمَجدًا دائمًا، ولم يمت إذ ذبحوه عنوة، بل كل ما صار له حدث بإرادته. اسمع ماذا قال: «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ» (يو١٩: ١١) لأنني بإرادتي سوف أقدم ذاتي ذبيحة، واغفر للأعداء لأنني إن كنت لا أريد أن يحدث هذا لَمَا كان حدث شيءٌ مما حدث.

إذًا لقد أتى مهيئًا ذاته ومستعدًا للألم، مسرورًا لتتميم هذا الحدث لابسًا تاج الشوك وهو مملوء بالسرور من أجل خلاص البشر، لم يخجل من عار الصليب لأن به خلّص المسكونة. هذا الذي تألَّم لم يكن مجرد إنسانًا مهمَّشًا بل كان **الله** الذي تأنَّس متسلحًا بالصبر من أجل الجهاد الموضوع أمامه.

٧– رفض اليهود المصلوب إذ صار الصليب عثرة بالنسبة لهم، وهكذا أُعطيت النعمة إلى الأمم:

لقد **اعترض اليهود**، هؤلاء الذين هم دائمًا **متأهبون للإعتراض وحاملون من جهة الإيمان**، لدرجة أن **النبي إشعياء** قال: «مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا» (إش٥٣: ١). يالَلْعَجَبِ، **الذين هم من أهل فارس يؤمنون، بينما اليهود لا يؤمنون** «الَّذِينَ لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ سَيُبْصِرُونَ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا سَيَفْهَمُونَ». (رو١٥: ٢١)، **اليهود** الذين يدرسون الكتب المقدسة يناقضون ما يدرسونه، هؤلاء يعترضون قائلين: بناء على ذلك هل تألَّم **الرَّبّ**؟ هل الأيدي البشريَّة هي أقوى كثيرًا من سلطانه؟ اقرأ **مراثي إرميا**، لأنه وهو يرثي لحالكم بسبب الأمور الجديرة بالرِّثاء، **رأى دماركم وشاهد سقوطكم ورثى وقتذاك أورشليم** لأن أورشليم الحاليَّة لا تحتاج إلى رثاء. لقد صلبته **أورشليم القديمة**، أما الحاليَّة فهي تعبد **المسيح**. لقد رثاها قائلًا: «نَفَسُ أُنُوفِنَا، مَسِيحُ الرَّبِّ، أُخِذَ فِي حُفَرِهِمِ.» (مراثي إرميا ٤: ٢٠).

هل أنا ابتدعت شيئًا من هذه الأقوال، ها هو **النبي** يشهد **للمسيح الرَّبّ** الذي قُبِضَ عليه من البشر. وما هي النتيجة؟ أخبرني أيُّها **النبي**. يقول **النبي**: « فِي ظِلِّهِ نَعِيشُ بَيْنَ الأُمَمِ» (مراثي إرميا ٤: ٢٠). ليس بعد في إسرائيل. لقد أراد أن يقول من الآن فصاعدًا سوف لا تُعطى نعمة **الله** **للشعب الإسرائيلي** **بل للأمم**.

الإصحاح الأوَّل

العظة الثانية : (١كو ١: ٤-٩)

«أَشْكُرُ إِلهِي فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لَكُمْ فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ اسْتَغْنَيْتُمْ فِيهِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ عِلْمٍ» (١كو ١: ٤-٥).

١ – هذا ما ينصح به الآخرين قائلًا: «لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ.» (فيلبي ٤: ٦). لقد اختبر هو نفسه أيضًا ذلك، مُعَلِّمًا إيَّانا أن نبدأ دومًا بهذه الكلمات، ولنشكر الله، قبل أيّ عمل نشْرَع فيه. لأنَّهُ لا يوجد شيء مُرْضٍ أمام الله بهذا القدر الكبير، سوى أن نشكر (الله) لأجل أنفسنا. ولأجل الآخرين أيضًا. ولذلك نجد أنَّ **الرسول بولس** يطلب هذا في كُلِّ رسائله (الصلاة مع الشكر). إلَّا أنَّهُ يطلب الشكر هنا، لأن الاحتياج له أكبر مِمَا في الرسائل الأُخرى، لأن الذي يشكر، يشكر لأنه قد **أُحسِنَ إليه، ولأنه نالَ النعمة**. وهذه النعمة ليست دَيْنًا، ولا مكافأة، ولا تعويضًا، ولذلك من الضروري أن يُشَدِّد على هذا الأمر في كُلِّ موضع. ولكن بالغالب في حالة **أهل كورنثوس**، الذين لم يتحرَّكوا في مواجهة مَنْ أثاروا الانقسام في الكنيسة، يقول: «**أَشْكُرُ إِلهِي**» ، هنا هو يتحدث بشوق كبير ويختطف الذي هو للجميع، ويجعله خاصًا به هو، الامر الذي اعتاده الانبياء أن يفعلوه، قائلين: «**الله إلهي**». إذًا فهو يحثّ **أهل كورنثوس** على أن يفعلوا هذا، لأن مَنْ يتكلَّم عن الله بهذه الطريقة، ينفصل عن جميع الأمور البشريَّة، ويتقدَّم نحو الله الذي يدعوه بشوقٍ كبير.

فالذي يمكنه أن يفعل هذا حقًّا، هو الذي يسمو فوق الانشغالات المعيشِيَّة، ويتجه نحو الله، ويُفَضِّل أن يكون معه دائمًا، ويشكره لأجل النعمة التي أُعطِيَت له بالفعل، بل وأيضًا لأجل كُلِّ أمرٍ حسن وجيِّد قد حدثَ له فيما بعد، ولأجل هذا يُسَبِّحه. ولهذا السبب، لم يَقُل فقط: «**أَشْكُرُ**»، بل أضافَ: «**إِلهِي فِي كُلِّ حِينٍ**»، مُعَلِّمًا **أهل كورنثوس** أن يشعروا دومًا بالامتنان لله على نعمته، وليس لأيّ أحد سِواه، كما يقول: «**على نعمة اللهِ**». أرأيت كيف أنَّهُ يُصلحهم بكل الطُّرق؟ بمعنى أنَّهُ حيث توجد النعمة، فلا مجال للأعمال، فإذا كان هناك اعتماد على الأعمال، فلا وجود للنعمة. إذًا فإن كانت النعمة هي السائدة **فلماذا تتشامخون؟ ولماذا تتباهون وتفتخرون؟** ثمَّ يُضيف: «**الْمُعْطَاةِ لَكُمْ**». بواسطة مَن أُعطِيَت؟ هل بواسطتي أم بواسطة رسول آخر؟ لا على الاطلاق، بل **بيسوع المسيح**، لأنَّ عبارة: «**فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ**»، تعني ذلك. لاحظ كيف أنَّهُ دائمًا ما يَضع حرف الجَرّ «**في**»: وهي باليونانيَّة:**إنْ εν**»، بدلًا مِنْ استعمال كلمة:«**بواسطة أو من خلال، وباليونانيَّة:ذي أوو δι όυ**»، لأنَّ «**في**» هي أقوى بالتأكيد من كلمة «**بواسطة**». يقول: «**أَنَّكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ اسْتَغْنَيْتُمْ فِيهِ**». أيضًا بمن قد «**اسْتَغْنَيْتُمْ**» ؟ يقول: «**في المسيح**». وليس فقط: «اسْتَغْنَيْتُمْ»، بل «**فِي كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ عِلْمٍ**». إذًا عندما يكون هناك غِنى، يكون غِنَى الله في كُلِّ شيء، في ابن الله الوحيد الجنس، تأملوا في الكنز الذي لا يُعَبَّر عنه. يقول: «**فِي كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ عِلْمٍ**». ليست كلمة العالم، بل كلمة الله، لأنَّهُ توجد معرفة **بدون** كلمة، وتوجد معرفة بكلمة. بالطبع هناك كثيرون لديهم معرفة، ولكن ليس لديهم كلمة، كما هم على سبيل المثال، الناس البسطاء الذين لا يقدرون أن يُعَبِّروا عمَّا يفكرون فيه بوضوح.

لكنه يقول: أنتم لستم هكذا، بل أنتم قادرون، لكي تفكِّروا ولكي تتكلّموا أيضًا.

«كَمَا ثُبِّتَتْ فِيكُمْ شَهَادَةُ الْمَسِيحِ» (١كو ١: ٦).

لقد لمسَ فيهم غِنى نفوسهم **بالمسيح**، إذ قد استغنوا فيه في كُلِّ كلمة وكلّ علم، لأنَّهم استطاعوا أن يتعلموا العقائد الإيمانيَّة الحقيقيَّة، وأن يثبتوا في شهادة المسيح، أي في الكرازة، ليس بمعونة الفلسفة، ولا

التربية والثقافة الدنيويَّة، بل بمعونة نعمة الله، وغنى المعرفة والكلمة التي أعطاها الله. أنتم تتمتَّعون بآيات وعجائب كثيرة، وبنعمة لا توصَف، كي تستقبلوا الكرازة. إذًا إن كنتم قد ثبتم بالآيات، وبالنعمة فَلِأَيّ سبب **تضطربون وتتزعزعون؟** لقد لامهم بهذه الكلمات، وفي الوقت ذاته أثار انتباهم وادركهم حتى لا يتزعزعوا.

«حَتَّى إِنَّكُمْ لَسْتُمْ نَاقِصِينَ* فِي مَوْهِبَةٍ مَا، وَأَنْتُمْ مُتَوَقِّعُونَ اسْتِعْلاَنَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ،» (١كور ١:٧).

(**نَاقِصِينَ***: حرفيًا : متأخرين – إيبستيريتي – **ὑστερῆτε**) .

هنا يريد أن يتحقَّق من شيء مهم، وهو إلى أيّ مدى أولئك الذين استغنوا في كُلّ كلمة **لا يزالون جسدانيين**، ماداموا ليسوا ناقصين في أيّ موهبة. لأنه إن كانوا في البداية أغنياء في كُلّ كلمة، فبالغالب، يجب أن يكونوا الآن. إذًا فكيف يدعوهم جَسَديين (١كور٣:١). ماذا يريد أن يقول؟ يريد أن يقول إنهم قد آمنوا في البداية، ونالوا أنواع مواهب، لأنهم بالتأكيد قد اشتهوها، لكنهم بعد ذلك صاروا **كَسالَى ومتوانين للغاية**، أو إن لم يَكُن هذا قد حدث، فإنَّ لومه القاسي، سواء في هذه الحالة أم تلك، لا يتوَجَّه بِهِ للجميع، بل تارَةً **للمسئولين** عن الاتهامات، وتارَةً أخرى **للمفتخرين بالمديح**، لأنَّ لديهم بعد موهبة. «فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَهُ مَزْمُورٌ، لَهُ تَعْلِيمٌ، لَهُ لِسَانٌ، لَهُ إِعْلاَنٌ، لَهُ تَرْجَمَةٌ. فَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لِلْبُنْيَانِ.» (١كور١٤:٢٦)، وأيضًا: «أَمَّا الأَنْبِيَاءُ فَلْيَتَكَلَّمِ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ.» (١كور١٤:٢٩).

هناك شيء آخر نستطيع أن نقوله أيضًا، وهو أننا كما اعتدنا أن نُعمِّم في حادث له أطراف كثيرة دون أن نشير لأحد، هكذا صنع **الرسول بولس** هنا، فقد كتب دون الإشارة لشخص بعينه، وأعتقد أنه في نفس الوقت يُشير إلى نفسه، أي أنَّهُ هو نفسه قد أظهرَ لهم الآيات، كما أشار في رسالته الثانية لهم: «إِنَّ عَلاَمَاتِ الرَّسُولِ صُنِعَتْ بَيْنَكُمْ فِي كُلِّ صَبْرٍ، بِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَقُوَّاتٍ.» (٢كو ١٢: ١٢)، وأيضًا: «لأَنَّهُ مَا هُوَ الَّذِي نَقَصْتُمْ عَنْ سَائِرِ الْكَنَائِسِ» (٢كو ١٢:١٣)، أو أنَّهُ كما قلت، يُذَكِّر بآياته، ويتكلَّم بهذا تُجاه أولئك الذين كانوا بعد تحت الاختبار (في فترة التعليم). إذ كان هناك مسيحيُّون كثيرون من الذين وضعوا أنفسهم في خدمة القديسين، وكانوا **باكورة أخائية**، كما أشار هو في نهاية رسالته: «وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ بَيْتَ اسْتِفَانَاسَ أَنَّهُمْ بَاكُورَةُ أَخَائِيَةَ، وَقَدْ رَتَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِخِدْمَةِ الْقِدِّيسِينَ» (١كو١٦:١٥). ومن ناحية أخرى، فحتى وإن كان المديح ليس له صدَى في الواقع، إلَّا أنَّهُ مَهَّدَ الطريق أمام **الرسول بولس** ليقول لهم ما يريد أن يقوله بكل سهولة، لأن ذاك الذي يتكلَّم منذ البداية بأقوال مُحزنة وبطريقة مُباشرة، عادَةً ما يواجه رَفْضًا من جانب الذين لا صَبرَ لهم، أي أن كان من يسمعونه متساوين في المكانة، فإنَّهم يغضبون، وإن كانوا أقل بكثير، سيحزَنون.

إذًا لكي لا يحدث هذا، فإنَّهُ يبدأ بشيء يبدو مديحًا، لكنه ليس مدحًا لهؤلاء، بل لنعمة الله، لأنَّ غفران الخطايا، والخلاص، هي عطايا الله وحده. لهذا السبب تحديدًا يُصِرُّ على أن يُبَيِّنَ تلك الأمور التي تُظْهِرُ محبة الله **تُجاه الإنسان**، لكي يُعالج مرضهم الرُّوحي بالتمام. ثمَّ يقول: « **وَأَنْتُمْ مُتَوَقِّعُونَ اسْتِعْلاَنَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**». إنَّهُ يقول: **لماذا تضطربون إذًا وتتزعزعون؟** أليسَ **المسيحُ** هنا؟ إنَّهُ حاضرًا هنا، ويوم الدينونة يقترب. لاحظ حكمته، فإنَّهُ بعدما صَرَفَ انتباههم عن الأمور الإنسانيَّة، أثارَ فيهم **خوفًا**، بِأَن ذَكَّرهم **بالعرش المخوف**، مُبَيِّنًا لهم أنَّهُ لا يجب على المرء فقط أن يبدأ حسَنًا، بل أن ينتهي أيضًا حَسَنًا. لأنَّ المسيحيين وهم يمتلكون هذه المواهب، ويمارسون فضائل أُخرى، يجب أن يتذكَّروا ذلك اليوم (**يوم الدينونة**)، ولابدَّ أن يجتازوا متاعب كثيرة، حتى يمكنهم أن يصلوا إلى النهاية.

٢– يذكر كلمة «**إستعلان**»، لكن يعلن بأنَّهُ وإن كُنَّا بعد لا نراهُ، إلَّا أنَّهُ موجود حاضر الآن، وسيظهر أيضًا (**في مجيئه الثاني**). الأمر إذًا يحتاج إلى صبر، ولأجل هذا ترون آيات وعجائب، لكي تظلُّوا ثابتين في الإيمان.

يقول: **«الَّذِي سَيُثْبِتُكُمْ أَيْضًا إِلَى النِّهَايَةِ بِلاَ لَوْمٍ فِي يَوْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.»** (**١كو ١ : ٨**).

من الواضح هنا أنَّهُ يحاول أن يُعالجهم، ولا يوجد في كلامه أي تملُّق أو مُداهنة. إنَّهُ يعرف بالطبع كيف يُؤَنِّبهم، عندما يقول: « فَانْتَفَخَ قَوْمٌ كَأَنِّي لَسْتُ آتِيًا إِلَيْكُمْ.» (١كور١:١٨). وأيضًا: «مَاذَا تُرِيدُونَ؟ أَبِعَصًا آتِي إِلَيْكُمْ» (١كور١:٢١). وأيضًا: «أَنْتُمْ تَطْلُبُونَ بُرْهَانَ الْمَسِيحِ الْمُتَكَلِّمِ فِيَّ» (٢كور ١٣:٣). وهو أيضًا يُدينُهم بطريقة غير مباشرة، لأنَّهُ بقوله «**الَّذِي سَيُثْبِتُكُمْ**» و «**بِلاَ لَوْمٍ** » ، يبرهن **على أنَّهم بعد في اضطراب وتحت دينونة.**

ولمن انتبه كيف أنَّهُ في كُلّ مرَّةٍ يربطهم **بإسم المسيح** بِشِدَّةٍ. إذ لا يذكر أي إنسان، لا رسولًا، ولا مُعَلِّمًا، بل باستمرار يذكر **مُشتهى النفوس ذاته (أي ربّنا يسوع المسيح)**، كمن يحاول أن يشفي الصُّداع الذي استحوذَ على البَشَر والناتج عن الثمالة. لأنَّهُ ليس هناك تكثيف لذكر **آسم المسيح** في أيَّةِ رسالة أُخرى كما هو الحال في الرسالة إلى أهل كورنثوس، فهو يذكر **آسم المسيح** في آيات قليلة، مرارًا كثيرة وهكذا ينسج كل المقدمة تقريبًا على هذا النحو. لاحظ ما يقوله من البداية: «بُولُسُ، ٱلْمَدْعُوُّ رَسُولًا لِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ .. ٱلْمُقَدَّسِينَ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ..إِلَى جَمِيعِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ بِٱسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ .. نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ ٱللهِ أَبِينَا وَٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ..أَشْكُرُ إِلَهِي..عَلَى نِعْمَةِ ٱللهِ ٱلْمُعْطَاةِ لَكُمْ فِي يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ..كَمَا ثُبِّتَتْ فِيكُمْ شَهَادَةُ ٱلْمَسِيحِ..وَأَنْتُمْ مُتَوَقِّعُونَ ٱسْتِعْلَانَ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي سَيُثْبِتُكُمْ أَيْضًا إِلَى ٱلنِّهَايَةِ بِلَا لَوْمٍ فِي يَوْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ. أَمِينٌ هُوَ ٱللهُ ٱلَّذِي بِهِ دُعِيتُمْ إِلَى شَرِكَةِ ٱبْنِهِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ رَبِّنَا.»

أرأيت كيف أنَّهُ يذكر **آسم المسيح** بصفةٍ دائمة؟ هكذا من الواضح للحمقَى أنَّهُ لم يفعل هذا مُصادفةً أو بلا هدف. بل أنَّه بهذه الإشارة الحسنة **لاسم المسيح**، يُعالج تهيّجهم ويُنقِّي تمامًا البُؤرة الدنسة لأمراضهم.

« أَمِينٌ هُوَ اللهُ الَّذِي بِهِ دُعِيتُمْ إِلَى شَرِكَةِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا.» (١ كو ١: ٩).

يا للعجب، كم هو هامٌ هذا الكلام الذي قاله هنا! كم هي عظيمة العطيَّة التي أظهرها! يقول: «دُعِيتُمْ إِلَى شَرِكَةِ ابْنِهِ»، **فهل تلتصقون بالبَشَر؟ وهل هناك ما هو أسوأ من هذا البُؤس؟** ومَن هو الذي دعاكم؟ إنَّهُ «الله الآب». لأنَّهُ دائمًا ما يقول: «بِٱبْنِهِ» و «فِي ٱبْنِهِ»، لكنه من جهة الدعوة فقد نسَبها إلى الآب، حتى لا يعتقدوا أنَّهُ يتكلم هكذا، فيبدو الآب أقل من الابن. أي أنَّهُ يقول: إنَّ الذي دعاكم ليس هو هذا أو ذاك، بل الآب، وهو الذي أغناكم. أيضًا هو الذي دعاكم، ولم تأتوا أنتم من تلقاء أنفسكم.

وماذا يعني بعبارة: «شَرِكَةِ ٱبْنِهِ»؟ إسمعه وهو يقول الكلام ذاته بأكثر وضوحًا في موضع آخر: «أَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ فَسَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضًا مَعَهُ.» (٢ تيمو ٢: ١١-١٢). ونظرًا لأنه قال كلامًا مُهمًّا للغاية، أضافَ تبريرًا لا خلاف عليه أو لا يمكن الاعتراض عليه، حيث يقول:«أَمِينٌ هُوَ اللهُ»، أي أنَّهُ حقيقيٌّ وصادق، وإن كانَ صادقًا، فإنَّه سَيُحَقِّق ويُتَمِّم كُلّ ما وَعَدَ بِهِ، لأنَّهُ لأجل هذا السبب تحديدًا قد سبَقَ ودعانا. «لأَنَّ هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ.» (رو ١١: ٢٩). هذه الأمور يكتبها الآن في بداية رسالته، حتى **لا يسقطوا في اليأس بعد الاتهامات الشديدة ضدّهم**. لأنَّهُ في كُلِّ الأحوال سيحدث ما يريده الله، إلَّا إذا كُنَّا قد فقدنا عقولنا تمامًا، بالضبط كما حدث **لليهود**، والذين بينما دُعُوا من الله، لم يُريدوا أن يقبلوا الخيرات. وهذا لا يرجع إلى مَنْ يدعو، بل إلى جحود هؤلاء، لأنَّ الله على الدوام يُريد أن يقدِّم عَطاياه، أمَّا هؤلاء فبرفضهم (عطايا الله)، يكونون قد رفضوا أنفسهم. أي إن كان الله قد دعاهم لعملٍ شاق وَمُجهِد، ولم يقبلوا، فما كان لهم أن ينالوا الصفح أيضًا، وعلى الأقل سيكون هناك صعوبة لديهم أن يستخدموا نفس العمل كمُبَرِّر لعدَم القبول، إلَّا أنَّهُ مادام قد دعانا للنقاوة، وَلِلْبِرِّ، وللقداسة، وللخلاص، وللنعمة، والعطيّة، والخيرات المُعَدَّة التي لم تَرَهَا عين، ولم تسمع بها أُذن، فأيّ صفح أو غفران، يكون مستحقًا له كُلّ مَنْ لم يركُض نحو الله؟ وحسنًا أنْ يكون الله وحده هو الذي دعانا.

إذًا يجب على الواحد **ألَّا يُدين** الله، لأنَّ هدم الإيمان لا يرجع إلى مَن يدعو، بل إلى أولئك الذين **يرفضون الدعوة**. ولكن سيقول البَعض: كان ينبغي أن يُعيدهم الله مرَّةً أُخرى إلى الإيمان، دون إرادتهم، لكن هذا أبعد ما يكون عن الله، لأنَّهُ لا يقهر ولا يُجبِر أحدًا. أي هل مَن يدعو للكرامة، والتتويج، وللولائم السماويَّة، والاحتفالات، يقوم **بتقييد المدعوين بالسلاسل ويسوقهم دون إرادتهم**؟ بالطبع لا، لأنَّ مَنْ يفعل ذلك يُعَدُّ شخصًا متباهيًا أو مفتخرًا بذاته. إنَّهُ يرسلهم إلى الجحيم بدون إرادتهم، أمَّا فيما يتعلَّق بملكوت الله، فهو يدعوهم بإرادتهم، لكن فيما يختص بالنار، فإنَّهُ يُحضرهم مُقَيَّدين ونائحين، أمَّا بالنسبة للخيرات التي لا تُحصَى، فإنَّهُ لا يتَّبع نفس الطريقة، لأنَّ هذا يطعن في الخيرات ذاتها، أي إنَّهُ لابدّ أن يكونوا بالطبيعة هكذا (يحيون بالإيمان). **حتى يأتي المدعوون بإرادتهم وبامتنان كبير، وفرحٍ شديد.**

٣- وقد يقول البعض: لماذا لا يُفضِّل الجميع هذه الأمور؟ هذا راجع إلى ضعفهم. ولماذا لا ينتشلهم الله من ضعفهم؟ أخبرني، بأي طريقة كان يجب على الله أن يُلاشي ضعفهم؟ أَلَمْ يخلق الله الكون الذي يُظهر محبته للبشر، ويُظهر قوَّته أيضًا؟ يقول المرنم: «اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ.» (مز ١٩: ١). أَلَمْ يُرسل أنبياء؟ أليسَ هو الذي دعاهم وكرَّمهم؟ أَلَمْ يصنع عجائب؟ أَلَمُعْطِي ناموسًا مكتوبًا، وناموسًا للضمير؟ أَلَمْ يُرسل ٱبنه؟ أَلَمْ يُرسل الرُّسل؟ أَلَمْ يصنع آيات؟ أَلَمْ يستخدم الجحيم كتهديد؟ أَلَمْ يَعِد بملكوت السموات؟ أَلَمْ يُشرِق بشمسه كُلّ يوم؟ أليسَ كُل ما أَوصَى به هو أمرٌ سهل ويمكن تحقيقه، حتى أنَّ كثيرين زادوا على وصاياه، بممارستهم وحياتهم في المسيح؟ «مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟ لِمَاذَا إِذِ انْتَظَرْتُ أَنْ يَصْنَعَ عِنَبًا، صَنَعَ عِنَبًا رَدِيًّا؟» (إشعيا ٥: ٤).

وقد يتساءل البعض، ولماذا لم يجعل **المعرفة والفضيلة** أمور موجودة في داخلنا بالطبيعة؟ مَنْ يَدَّعي هذا؟ هل هو الأُمَمِيّ أم المسيحيّ؟ **الاثنان**، لكن ليس السبب واحدًا، الأُمميّ **يصارع لأجل المعرفة**، بينما المسيحيّ **يجاهد لأجل الحياة**. إذًا سنُجيب أولًا فيما يختص بنا، لأنَّني لا أُفكِّر كثيرًا فيمن هم خارج الإيمان، بقدر تفكيري في أعضائنا. إذًا ماذا يزعم المسيحي؟ هل يقول كان ينبغي على الله أن يضع داخلنا معرفة الفضيلة؟ لقد وضعها الله فينا، لأنَّهُ إن لم يَكُن قد وضعها، فكيف كان لنا أن نعرف ما ينبغي علينا أن نفعله وما لا ينبغي فعله؟ وإلى أي شيء تستند القوانين والمحاكم؟ بالطبع ليس إلى المعرفة، بل إلى العمل ذاته. وأي مجازاة ستنال، لو كان كُلّ شيء هو عمل الله؟ أخبرني هل الله يُعاقِبُكَ أنتَ والأممي بنفس القدر عندما **تُخطِئان**؟ لا على الإطلاق، إذ أنتَ لديك حتى الآن الحريَّة في العمل تلك التي تأتي من المعرفة.

ماذا إذًا؟ لو أن شخصًا قال لكَ الآن: أنَّهُ بسبب المعرفة، فأنتَ واليوناني تستحقان المكافآت الخاصة، أَلَا يسبِّب لك ذلك ضيقًا؟ إني أعتقد هذا، لأنَّك ستقول: إنَّ اليوناني، بينما كان من الممكن أن يتوصَّل بنفسه إلى المعرفة، إلَّا أنَّهُ لم يُرِدْ. إذًا إن كان ذلك يقول: كان ينبغي على الله أن يضع داخلنا **المعرفة بطريقة طبيعيَّة**، أَلا تسخر منه، وتقول له: فلماذا إذًا لم تبحث عنها أنتَ أيضًا؟ ولماذا لم تُسرع تمامًا مثلي؟ وبدالة وشَجاعة كبيرة ستقف وستقول إنَّها **لحماقة كبيرة** أن **يدين أحدٌ** الله، لأنَّهُ لم يَضَع المعرفة بالطبيعة داخل الإنسان، ستقول هذا لأنَّك حصلتَ

على **المعرفة**. هكذا إن تحقَّقَ لكَ كُل ما تريد من الحياة، فلن تطلب هذه الأمور، لكن لأنَّكَ تعبتَ في الجهاد من أجل **الفضيلة**، لذلك تتكلَّم بهذه الأقوال **التافهة**. وكيف يُعتبَر هذا الأمر شيئًا حسَنًا، **حين يصنعه أحدٌ إجباريًّا**؟ في هذه الحالة ستتنافَس معنا **الكائنات غير العاقلة** من حيث العمل والفضيلة، لأن بعضها هي أكثر منَّا تهذيبًا وعفَّةً.

ولكن قد يقول البعض: إنَّني أُفَضِّل أن أكون مُلزَمًا وَمُجبَرًا على الأشياء الحسنة، وأن أُحرَم من كُلّ المكافآت، على أن أكون شرِّيرًا أو وضيعًا بإرادتي، وأن أتملَّق، وأن أُدان. ولكن من غير الممكن على الإطلاق أن يكون أحدٌ **إنسانًا صالحًا بالإكراه**. إذًا إن كنتَ تجهَل ماذا ينبغي أن تفعل، فأظهِر هذا، وحينئذٍ سأقول لك ماذا يجب أن تفعل، ولكن إن كنتَ تعرف **أنَّ الفسق يُعَدّ عملًا شريرًا، فلماذا لا تتجنَّب الشَّرَّ**؟ تقول لا أستطيع. إلَّا أنَّ آخرين ممن تمكَّنوا من تحقيق ما هو أعظم من ذلك، **سَيُدينونكَ، وسَيُغلِقون فمك، بحجج وبراهين كثيرة**. أي ربما تكون **غير متعفِّف** رغم أنَّ لكَ زوجة، بينما غير المتزوج، يحفظ **نقاءه بشكلٍ تام**. إذًا أي دفاع يمكن أن تُقدمه وأنتَ لا تحفظ التدبير الخاص بالعفَّةِ، بينما الآخر يتجاوز المعتاد. سيقول البعض إنَّ طبيعة جسدي وإرادتي ليست هكذا، ولكنني أقول لكَ إنَّها ليست هكذا، **لأنَّكَ لا تريد**، وليس **لأنَّكَ لا تستطيع**، فالحقيقة الثابتة تؤكِّد **على أنَّ الجميع يستطيعون أن يمارسوا الفضيلة**. أي أنَّ مَنْ لا يستطيع أن يمارس الفضيلة، لن يقدر أن يفعل هذا، ولا حتى حين يكون **مُجبرًا**، أمَّا الذي يستطيع، فعندما يُجبَر وإن لم يَكُن يمارس الفضيلة بالفعل، فلن يُمارسها لأنَّهُ **لا يُريد**. ما أُريد أن أقوله هو الآتي: إنَّهُ أمرٌ مستحيل أن يقف الإنسان ويطير نحو السماء، لأن له جسمًا ثقيلًا.

ماذا إذًا؟ لو أنَّ مَلِكًا أَمَرَ أنْ يُفعَل هذا الأمر، أي أَمَرَ الناس أن يطيروا إلى السماء، وهدَّدَ بقطع الرأس والحَرق، أو بالاثنين معًا، هل سَيُطيعه أحدٌ؟ **لا على الإطلاق**، لأنَّ هذا منافٍ للطبيعة. ولو أنَّ نفس الأمر حدثَ بموضوع العفَّة، وأَصدَرَ الملك أمرًا **بأن يُعاقب الفاحش، وَيُعَذَّب، وَيُجلَد، ويُعَاني من آلام لا حَصرَ لها**، تُرى هل يخضع أحد ويقتنع بالأمر؟ **بالطبع لا**، لأنَّ ما يسري الآن هو القانون الذي يُحرِّم الزِّنا، ومع هذا لا يمتثل الجميع، لا لأنَّ الخوف ضعيف لا يؤثِّر فيهم، بل لأنَّ الأغلبية ترى أنها بعيدة عن تطبيق القانون، لأنهم إذا أقدموا على ارتكاب هذه الأفعال وهم على مقربةٍ من القاضي فإنَّ الخوف قادر أن ينزع منهم هذه الشهوة. أمَّا إذا فُرِضَت عقوبة أقل وتمَّ القبض على الزَّاني وأُلْقِيَ به مُقَيَّدًا في السجن، فيكون بهذا قد ابتعد عن معشوقته، وسيتحمَّل هذه الأوضاع، ولن يُعاني كثيرًا.

إذًا ينبغي ألَّا نقول إنَّ هذا بطبيعته صالح، والآخر **بطبيعته رديء**، لأنَّهُ إن كان بطبيعته صالحًا، فمن غير الممكن على الإطلاق أن يُصبح سيِّئًا، وإنْ كان **بطبيعته سيِّئًا أو شرِّيرًا**، فمن غير الممكن أنْ يصير صالحًا. غير أننا نرَى انتقالًا فُجائيًّا يحدث الآن، إذ أنَّ الناس ينتقلون ويتحوَّلون من الصلاح **إلى الشرّ** وبالعكس. إنَّكَ لن ترى ذلك في الكتب فقط، بل في العهدين القديم والجديد، أي أنَّ **العشّارين صاروا رُسُلًا، والتلاميذ صاروا خائنين، والزَّانيات** صرنَ **عفيفات، والسَّارقين** صارت لهم سمعة طيِّبة، **والسَّحرة** آمنوا وسجدوا **للابن، والفجَّار** صاروا أتقياء، ويمكن للمرء أن يرى الكثير من ذلك يحدث كُل يوم. وإنْ كانَ ما يحدث هو نتيجة لطبيعة الشخص، فلا يُعتبر تغييرًا. كما هو معروف أنَّنا بالطبيعة في أمورٍ كثيرة نخضع للتحوُّل الطبيعي، ولن نستطيع على الإطلاق أن نصير بدون تغيير، لأنَّ الشيء الذي بطبيعته هو هكذا، من غير الممكن أن يصير مختلفًا عمَّا هو عليه. **بالتأكيد لا يتمكَّن أحد من أن يحرم نفسه من النوم**، إذ أنَّ الإحتياج للنوم جزء من طبيعة الجسد. ومن جهة أُخرى فلم يحدث أن نجح شخص في أن يظلَّ بدون فساد إلى الأبد، إذ أنَّهُ قد خضع للفساد، ولم يتمكَّن أحد أن **يلغي الإحساس بالجوع**، إذ أنَّهُ يحتاج إلى الطعام. لذلك فإنَّ هذه الأمور لا تُعتبر زلَّات، ولا نسخَر من أنفسنا عند إتمامها. أيضًا لم يحدث أنَّ أحدًا أراد أن يُدين شخصًا ما. فقال له: **(أيُّها الفاسد والمتحوِّل)**، بل إنَّ مرتكب **الزِّنا والدعارة** أو ما شابه ذلك دائمًا ما يُعرَض على المسئُولين ويُقَدَّم أمام القُضاة، وهم الذين يُدينون ويُعاقِبون، بينما مَنْ هُم عكس ذلك، فإنَّهم يستحقون التكريم. إذًا عندما تكون الخبرة من خلال العلاقات فيما بين البَشَر، وأحكام المحاكم، وتحديدًا القوانين، وإدانة أنفسنا، وعندما لا يُدينا أحدٌ، وعندما لا ننمو إلى الأفضل في ظلّ شركة تُنادي بالسلوك في حياة الفضيلة، لكننا نُصبح أفضَل **بسبب الخوف**، والخضوع لطائلة القانون، بينما نرى آخرين **وقد تمكَّنوا من الوصول إلى أعلى درجات الحكمة**، عندما يتضح من كل هذا أننا نستطيع أن ننجح، فلماذا يَخدع الكثيرون أنفسهم باطلًا بِحُجج ومُبَرِّرات واهية، ليس فقط لن تجلب الصفح، **بل تجلب جحيمًا لا يُحتَمل**؟ بينما كان ينبغي أن نضع أمام أعيُننا ذلك **اليوم المخوف**، وأن نحرص على ممارسة الفضيلة، وبعدما نتعب قليلًا، ننال الأكاليل الحقيقيَّة.

هذا الكلام بوجهٍ عام، لن يكون مبرِّرًا لنا، بل إنَّ شركاءنا الذين يحملون نفس الطبيعة الإنسانيَّة، **الذين حقَّقوا الأمور السَّامية**، سيكونون سببًا لإدانة **كُلّ مَن فَشِلَ في تحقيق هذه الأمور**، فإنَّ وجود شخص مُحبٍّ للناس، سيُبَكِّت **ضمير الإنسان القاسي**، ووجود شخص يحيا بالفضيلة، سيُبَكِّت **ضمير الشِّرير**، كما أنَّ وجود مَن يحمل أحشاء رأفة، سيُبَكِّت ضمير الشخص **المندفع والغضوب**، ووجود الشخص المُهَذَّب، سيُبَكِّت **ضمير الحاسد**، وجود الشخص الحكيم، سيُبَكِّت ضمير من يحيا **في المجد الباطل**، والمُحِبُّ للأتعاب والآلام، سيُبَكِّت ضمير **الخامل والكسول**، والشخص العفيف، سيُبَكِّت **ضمير الفاسق**. هكذا سيُدينا الله، وسيفصل الناس إلى قِسمَيْن، سيمتدح البعض، بينما **سَيُعَاقِب البعض الآخر**. لكن ليت أحدٌ من الحاضرين لا يكون بين المُدانيين، والمُحتَقَرين، بل بين المُتَوَّجين بالأكاليل والوارثين للملكوت، والذي ليتنا نناله جميعًا بالنعمة ومحبة البشر اللتين **لربنا يسوع المسيح** الذي يليق به مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجد والقوَّة والكرامة الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

التطويبات

طوبى للمساكين بالرُّوح (2)

المؤلِّف: هو الأب أنتوني م. كونياريس كاهن يخدم في كنيسة القديسة مريم اليونانيّة (الروميَّة) الأرثوذكسيَّة في مينيابوليس،في الولايات التحدة الأمريكيَّة، وهو يتميَّز بغيرة رسوليَّة حارَّة. كان مسئولًا عن العمل الأرثوذكسي الطلابي بجامعة مينيسوتا حيث كان يخدم في المجمع الاستشاري الديني. وقد نجح من خلال كتاباته في جعل الروميَّة الأرثوذكسيَّة للشباب رسالة ذات تقليد حيّ، تتقبَّل كُلّ ما هو حقيقي وجميل، وترفض كُلّ ما هو زائف وفاسد.

المَسكَنة بالرُّوح ليست من شأن أنفسنا بقدر أن نرفع الله والآخرين :

ليست المَسكنة هي أن نُقلِّل من شأن أنفسنا ونحتقرها، بل أن نرفع الله والآخرين.

من المُهِم أن نُدرِك أنَّهُ يجب علينا ألَّا يكون لنا رأي حقير في أنفسنا أمام الله، رغم أنَّ الهُوَّة بين الخالق والخليقة يجب أن تُثير فينا الرَّهبة والتخشُّع، كما يجب علينا ألَّا ننسَى حتى وإن كُنَّا أدنياء وحقيرين أمام الله، إلَّا أنَّنا أعزَّاء في نظَرِهِ كأولاده المحبوبين الذين لأجلهم بَذَلَ ابنه الوحيد.

المَسكَنة بالرُّوح هي ان ننصَاع إلى مشيئة الله مُصَلِّين: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك».

المَسكَنة بالرُّوح ليست ضَربًا من الاضطراب النفسي، بل هي كما قال أحد المُتصوِّفين:« إنَّها خضوع داخلي للفكر والقلب أمام عظمة الله الفائقة».

قالت الأم سينيكليتيكا :«كما أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يبني سفينة بدون مسامير، هكذا أيضًا لا نستطيع أن نخلُص بدون التواضع».

المَسكَنة بالرُّوح هي الشجاعة لمواجهة حقيقة أنفسنا. إنَّها تَدع الله ليكون الإله وأنا خليقته، كما قال أحدهم: «**أعرف شيئين: الأوَّل أنه يوجد الله، والثاني إنِّي لستُ الله**».

الاتضاع كلمة مشتقة من كلمة تعني الأرض أو الترب :

الأصل اللاتيني لكلمة اتضاع مُشتق من كلمة humus التي تعني الأرض أو التراب، أي أنَّنا تراب والله الذي خلقنا من التراب وليس نحنُ، ولذا فإنَّنا خُلِقنا لنكون مُبدِعين مع صانعنا.

ربما أنَّ الاتضاع مشتق من التراب، فهو أيضًا مملوءٌ من القوَّة لولادة الحياة. الاتضاع مثل الأرض منفتح لأشعة الشمس والمطر، ومستعد لتقبُّل أي بذور تُزرع فيه، ليُعطي محصولًا: «وَأَمَّا الْمَزْرُوعُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَيَفْهَمُ. وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِثَمَرٍ، فَيَصْنَعُ بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاَثِينَ». (مت ١٣ :٢٣).

أن نُحافظ على انفتاحنا على الله:

تُبقِي المَسكَنة بالرُّوح مجالًا لنا للانفتاح على الله، بينما الكبرياء لا تجعلنا منغلقين فقط على الله، بل تُصَيِّرنا أعداءً له. الكبرياء تضع الذَّات في مركز الكون بينما الاتضاع يضع الله في هذا المركز.

كما أنَّ الكبرياء هي الخطيئة الأولى أو الخطيئة الشيطانيّة، كذلك الاتضاع هو الفضيلة الأولى أو الفضيلة الإلهيّة.

تقول ترنيمة:

«كُل عمل صالح لا يُجدي نفعًا في حماقة الكبرياء، ولكن كل شرّ يُطهَّر بالاتضاع.

في الإيمان دعنا نتَّحد بالاتضاع، ونزدري كليَّة بالمجد الباطل وكلّ طُرقه».

إخلاء الذَّات من الكبرياء:

القديس يوحنا السُّلَّمي (الدُرجي) John Climacus :

«الكبرياء موجودة معنا حتى القبر، وإلى أن نموت سنكون مُحَارَبين بالكبرياء. لا نستطيع أن نمتلىء بالله إلى أن نُخلِي ذواتنا من الكبرياء أوَّلًا. لا تستطيع أن تملأ إناء بخمرٍ جديدة عندما يكون بالإناء بقايا خمرٍ عتيقة. «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ، لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ، فَالْخَمْرُ تَنْصَبُّ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ».» (مر٢:٢٢). الخمر العتيق هو الكبرياء والطمع يجب أن يُطرَح. ولقد حَذَّرنا الآباء من التواضع الكاذب والذي يُصَنَّف كأنَّهُ شكل من أشكال الكبرياء، وهذا الشكل صعب الانتصار عليه. التواضع الكاذب مملوء بحبّ الذّات ويحتاج إلى إخلاء الذَّات لكي نمتلىء من الله. الكبرياء هي انتفاخ، أمَّا المسكنة بالرُّوح فهي إخلاء».

عَرَّفَ جون رسكن John Ruskin المَسكَنة بالرُّوح كالآتي:

«أعتقد أنَّ الاختبار الأوَّل للرجل العظيم حقًّا هو الاتضاع، وأنا لا

أعني أن يشكَّ الإنسان في قُوَّتِه، ولكن الرجال العظماء الحقيقيين لديهم شعور طاغٍ بأنَّ عظمتهم ليست في أنفسهم ولكن من خلالهم، وهم يرون شيئًا إلهيًّا في كُلّ انسان، لذلك يكونون شفوقين ورَحومين بلا حدود وبطريقةٍ لا تُصَدَّق».

قصة الإسكافي الاسكندري المتواضع:

يوجد مثالٌ لهذا التواضع عند آباء البريَّة، **فالمسيح** ذات مرَّة أرسَلَ **القديس أنطونيوس الكبير** إلى إسكافي كان يعيش في الإسكندريَّة لكي يُعَرِّفه درجة قداسة أعلى منه. وقد عَرَفَ **القديس أنطونيوس** واكتشفَ أنَّ الإسكافي كان دائمًا يقول عن الناس الذين يمرُّون بجواره: « **إنَّهم سَيخلصون جميعًا وهو الوحيد الذي يستحق الدينونة**».

هذا الانطباع أصبح الجزء الأساسي من التقليد الرُّوحي الأرثوذكسي.

الشكل الصحيح للصِّدق:

إنَّما **المَسكَنة بالرُّوح** هي أعمق أشكال الصِّدق، لأنَّ من قِبَلِهَا نرى أنفسنا على حقيقتها بالضبط. وعلى النقيض **فالشيطان كأبٍ للكذّاب يكره الحقيقة ويُحب كُلّ نوع من الخداع والادِّعاء.**

مثل هذه **المَسكَنة بالرُّوح، عَظَّمَ إ. كرسمان** E. Cressman **من شأنها في صلاة** قال فيها:

«إجعلني يا ربّ مُتَّضِعًا إلى حيث أعرف أنَّني لا أعرف شيئًا، لكنك أنت تعرف كُلّ شيء.

إجعلني أدخل إلى مخدع صلاتي،عندئذ سأسمع صوتك.

اليوم يا ربّ سأختار أن أُبْقِي جانبًا كُلّ خططي،وأن أُسلِّم كُلّ طُرقي،عندئذ ستكون هناك إجابة لكل الأشياء.

وأن أفتح قلبي لخطتك الكاملة، وطريقك الكامل الوحيد لحياةٍ أفضَل ».

ليست المَسكنة بالرُّوح عُقدة نَقْص:

ليست **المَسكَنة بالرُّوح** مُرَكَّب نقص، ولكنها رغبة لخدمة الآخرين دون انتظار لِشُكر أو مجاملة. البعض يخدمون فقط إذا حصلوا على المقابل، لكن التواضع الحقيقي الأصيل هو أن تسكب حياتك لأجل الآخرين حتى لو لم يشكرك أحد.

يقول **وليام تيمبيل** William Temple :

«لا يعني الاتضاع أن تعتقد أنَّكَ الأقل من الآخرين، ولا أن تُحَقِّر من إمكاناتك ومواهبك، لكنه يعني التحرُّر الكامل من التفكير في ذاتك».

معظم الناس لا يُفَضِّلون التواضع أو المَسكنة، لأنَّهم يعتبرونها نوعًا من الضعف والخنوع والجبن. كيف يمكن ذلك وقد كان **يسوع** أقوى وأشجع وأكثر جرأة من أي شخصٍ آخر، بل العكس هو الصحيح.

وكما كتبَ **توماس ميرتون** Thomas Merton :

«الاتضاع هو العلامة الأكيدة للقوَّة».

التواضع هو نعمة (أي عطيَّة من اللهِ):

ليس التواضع أن نهتم بخطايا الآخرين، بل **بخطايانا** مُصَلِّين دائمًا: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ».

قال القديس غريغوريوس السينائي St. Gregory of Sinai:

«التواضع هو نعمة تُعطَى من فوق».

التواضع هو الحياة بالإيمان والثقة بأنَّ **الله** هو الذي يُعطي كُلّ شيء.

المتواضع الحقيقي هو الذي لا يعتمد فقط على مواهبه الشخصيَّة ومهاراته وإمكاناته، لكنه ينظر أيضًا إلى **واهب** تلك الأشياء جميعها.

يتساءل **القديس ثيوفان الناسك** St. Theophan the Recluse:

«ما الذي يحفظ النعمة في النفس أكثر من أيِّ شيء آخر؟ إنَّه التواضع».

يوضِّح **القديس مكسيموس المعترف** هذا ويقول: **«كُلّ إنسان متواضع يكون وديعًا، وكل وديع يكون بكل تأكيد متواضعًا، ويصير الإنسان متَّضِعًا عندما يعرف أنَّ كيان ذاته وديعة لديه».**

التواضع كمصداقيَّة روحيَّة:

أَوَدّ أن أتأمَّل في التواضع كصدق روحي. إنَّ التواضع هو الكيفيَّة التي تُمَكِّنُنا من النظر إلى ذواتنا على حقيقتها. صلَّى **الجنرال جورج باتون** قُبَيْلَ إحدى المعارك الكُبرى دون أن يلاحظ أحد أبدًا تواضعه، وبصراحة غير متكلَّفة، وكمن يعرف إمكاناته الحقيقيَّة قال: **«ربُّما اعتبرني البعض أنَّني الأفضل، وإن كنتُ حقًّا هكذا، لكن من ذاتي فأنا لستُ قادرًا. هَب لنا النصر، يا ربّ».**

التواضع يُشعرنا بحقيقة أنفسنا:

إنَّ التواضع يقدِّم لنا حقيقة أنفسنا مقرونة باحترام الآخرين. لا يُعتبر متضعًا ذلك الشخص الذي يكون طوله ستة أقدام وأربع بوصات ويقول: « أُوه، بل أنا طولي خمس أقدام وأربع بوصات»، لأنها ليست الحقيقة. مثل هذه العبارة لا تتعارض فقط مع الحقيقة، لكنها علامة من علامات **الكبرياء** أكثر من التواضع. التواضع في مثل هذه الحالة يتوقَّف على معرفة حقيقة المواهب التي لدينا ونشكر عليها. **«ما الذي لكَ ولم تأخذه؟** (كعطيَّة موهوبة من **الله**)»، شاكرين **الله** على كُلّ العطايا التي وهبها لنا.

التواضع الحقيقي ليس نتيجة انتقاص من قدر الذَّات (**شعور بالنقص**)، مثل هذه الحالة من التواضع الكاذب تمنعنا من تقديم قوَّتنا **لله** كي يستخدمها، فمثلًا قالت زوجة كاهن لزوجها: «عندما يقول لك الناس إنَّ العظة كانت جيِّدة، وأنتَ تُخبرني وتُحزنني بأنها كانت غير جيِّدة على الإطلاق، محاولًا أن تتجَنَّب المديح، فأنتَ تدلِّل على أنَّ الجميع أصبحوا خُرسًا لدرجة أنَّهم لا يقولون الحقَّ.»

فسألها: «لكن ماذا أفعل لكي أتجنَّب المجد الباطل؟»

فأجابته: «عليك أن تشكر الذين مدحوك موجِّهًا أنظارهم إلى الله العامل فيك».

هناك كثير من العطور المختلفة، كل منها له رائحته المميَّزة، وهناك نوع خاص متميِّز من العطر يُسمى **ناردين** يتم إنتاجه ببراعة من خليط دقيق ومتناسق من العطور، ويتخذ اسمه من عطر الأعشاب الممزوجة فيه. فهو نتاج العديد من العطور المختلفة ممتزجة معًا لتكوِّن عطرًا واحدًا مميَّزًا، هذه هي الرائحة الحلوة التي يستنشقها العريس بحواس نقية.

في هذه الآية، أعتقد أنَّ **الكلمة (اللوغوس)** يعلّمنا أنه يفوق بطبيعته الخاصة **بناء ونظام العالم المخلوق بأكمله**، بكونه غير المقترَب إليه، غير الملموس، غير المفحوص. لكن لدينا في محلّه هذا العطر بداخلنا، الذي تم تقطيره من خلال **كمال كُلّ الفضائل**، وهذا العطر الذي فينا يحاكي في نقاوته **عدم فساد الله الجوهري**، ويحاكي في صلاحة صلاح الله المطلق، ويحاكي في خلوده خلود الله ، ويحاكي في ثباته ثبات الله **المطلق**، فنصوِّر بكل الفضائل التي نمتلكها فضيلته الحقيقية، التي تغطي كُلّ السموات، كما قال **حبقوق النبي** (٣:٣).

لذا، عندما تقول العروس لأصدقاء العريس « أَفَاحَ نَارِدِينِي رَائِحَتَهُ.» (نش١:١١)، أعتقد أن هذا هو الدرس العميق الذي تعلمنا إياه: أنه حتى ولو جَمَعَ الإنسان من مختلف مروج الفضائل كل طيب وكل زهرة مُعطرَّة، وجعل حياته بكاملها مُعطرَّة برائحة طيبة بواسطة كل هذه الأعمال الفاضلة، وصار كاملًا بهذه الطريقة، بالرغم من كل هذا لنْ يستطيع أن ينظر بشكل ثابت نحو **كلمة الله**، كما **لا يستطيع التفرُّس في الشمس**. لكنه يستطيع النظر إلى هذه الشمس في **داخله** كما في مرآه. لأن صلاح الله الكامل يُرسِلُ إشعاعات القداسة داخلنا لكي يُنير **حياة الأنقياء**، وتلك الإشعاعات تجعل غير المرئي مرئيًّا، وتسمح لنا بفهم وإدراك غير المُقترَب إليه، من خلال طباعة صورة **الشمس** على مرآة نفوسنا.

والحديث يتشابه بقدر كبير سواء إن تكلمنا عن **أشعة الشمس**، أو **صدور الفضائل**، أو **شذا العطور**. أيّا كان التمثيل الذي نستخدمه لغرض نقاشنا، الفكرة الأساسية هي واحدة، وهي أنَّنا من **خلال الفضائل** التي نقتنيها نستمد معرفتنا **لله** الصالح الذي يفوق كل إدراك، بنفس الطريقة التي نستنتج بها جمال أي نموذج أصلي من خلال صورته.

هكذا أيضًا، **بولس** هو عروس تشبهت بفضائل العريس، وأخذ هذا الجمال السرمدي كنموذج لحياته، ومزج خليط ناردينه من ثمار الرُّوح، من **المحبة والفرح والسلام وكل الثمار الأخرى** (غلاطية ٥)، قائلًا أنه: «رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلّٰهِ» (٢ كو٢:١٥). لقد استنشق عطر الجمال الفائق غير مقترَب إليه، مُقدمًا نفسه للآخرين كنوع من العطر لكي يشتركوا فيه بحسب طاقتهم، وصار رائحة ذكيَّة يمكنها جلب الحياة أو **الموت** للآخرين، بحسب تدبير كل واحد.

إنَّ العطر ذاته يكون له تأثير مختلف على الحمامة والخنفس، فبينما تصير الحمامة أكثر قوة بآستنشاقه، يموت الخنفس عند فعله ذلك. هكذا أيضًا، بالنسبة لرائحة الله المُضَحِّيَة، كان **القديس بولس** في هذا الصدد مثل الحمامة، **وتيطس وسيلفانوس وتيموثاوس** جميعهم أشتركوا مع **بولس** في شذا ورائحة الطيب، وتقدموا في كل نوع من الفضائل متخذينه كمثال أمامهم. ولكن أولئك الذين – **كديماس وألكسندر وهرموجانس** (٢تي) – لم يستطعوا تحمُّل رائحة العفة والنقاوة، **تمَّ إبعادهم كالخنفس** بواسطة الرائحة الذكية.

لهذا السبب قال **بولس** – الذي تفوح منه هذه الأطياب بوفرة: «لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلّٰهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ. لِهؤُلاَءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ، وَلأُولئِكَ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ» (٢ كورنثوس ٢:١٥، ١٦).

من المحتمل أن تكون هناك علاقة بين ناردين العروس والناردين المذكور في الأناجيل. يمكننا آستنتاج ذلك من طبيعة الناردين، الذي كان **كثير الثمن**، وملأ البيت برائحة الطيب عندما انسكب على رأس **المسيح** (مر ١٤). إنَّ هذا الناردين ربما لا يختلف عن **ناردين عروس النشيد**، العروس التي أفاحت برائحة العريس. في الإنجيل، يتم سكبه على رأس **الرَّبّ** فيمتلئ البيت بالرائحة الذكيَّة، حيثما أقيم العشاء. أعتقد أن المرأة هنا بنوع من **الإلهام الإلهي** كانت تتنبأ مُسبقًا **بسرّ موت الرَّبّ** من خلال الناردين. لذلك شهد **الرَّبّ** لما فعلته قائلًا: «إِنَّمَا فَعَلَتْ ذلِكَ لأَجْلِ تَكْفِينِي» (مت ٢٦: ١٢). وهو يعلّمنا أن البيت الذي آمتلأ بالعطر **يشير إلى العالم أجمع**، أي **الكون كله**، وذلك عندما يقول: «حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ»، سوف تنتشر رائحة عملها مع البشارة بالإنجيل، ويكون الإنجيل تذكارًا لها.

هكذا نرى أنه في النشيد، يجلب الناردين للعروس رائحة عريسها الذكيَّة. أما في الإنجيل، فرائحة الطيب التي تملأ البيت تصير رائحة **المسيح** الذكيَّة، وبالتالي عطر جسد الكنيسة كلّه، الذي يفوح برائحته **في كل العالم والكون بأكمله**. هكذا نجد علاقة بين النصين، إذ يبدو أن كليهما يقولان نفس الشيء.

طوبى لأولئك الذين قَبِلُوا مجيء **المسيح** كنور في **الظلمة**، لأنهم يصيرون أبناء نور وأبناء نهار.

طوبى لأولئك الذين لبسوا **نور المسيح** من الآن، لأنهم بالفعل قد لبسوا **ثياب العرس**. لذا لن توثق أيديهم وأرجلهم، ولن يطرحوا **في النار الأبدية**.

طوبى لأولئك الذين رأوا **المسيح** أثناء تجسُّده، أمَّا أولئك الذين رأوه رُؤَى العقل بشكل روحي وسجدوا له فلهم **تطويب مثلَّث**، لأنهم لن يروا **الموت إلى الأبد**. ولا تشكّ في هذا الأمر لكونه يحدث على الأرض، لأن المُدانين الذين يُسمَح لهم برؤية الإمبراطور الأرضي يتم تحريرهم فورًا من الحُكم **المؤدي للموت**.

طوبى لأولئك الذين يتغذون يوميًّا على **المسيح** – بمثل تلك المعرفة والتأمل التي **لإشعيا النبي** عندما تغذَّى بالجمرة المُتَّقِدَة – لأنهم يتطهرون من **كل إثم للنفس والجسد**.

طوبى لأولئك الذين يتذوقون كل ساعة **النور** فائق الوصف بفم العقل، لأنهم يسلكون بلياقة كما في النهار (رو ١٣:١٣) ويمضون كل أوقاتهم في تهليل وفرح.

طوبى لأولئك الذين ميَّزوا بالفعل هنا على الأرض **نور الرَّبّ** كما هو، إذ أنهم لن يخجلوا عندما يظهرون أمامه في الدهر الآتي.

طوبى لأولئك الذين يعيشون دائمًا في **نور المسيح**، لأنهم شركائه في الميراث وأخوته **من الآن وإلى الأبد**.

طوبى لأولئك الذين أشعلوا **النور** في قلوبهم من الآن، وحفظوه غير منطفئ، لأنه عند مغادرتهم هذه الحياة سوف يتألَّقون عند مقابلة **العريس**، وسوف يذهبون **معه** إلى غرفة العُرس حاملين مصابيحهم.

طوبى لأولئك الذين لم يتفكروا في قلوبهم قائلين إنَّ الإنسان في هذه الحياة ليس لديه **أيّ ضمان** للخلاص – ويناله عند رحيله من العالم أو بعد ذلك – لكنهم **جاهدوا** لكي ينالوه الآن.

طوبى لأولئك الذين لم يتردَّدوا في أي شيء قلته هنا، أو شكُّوا في عدم صحته، لأنهم حتى لو لم يختبروا أي شيء من هذه الأمور – الأمر الذي أصلي ألَّا يكون هو الحال – إلَّا أنهم على الأقل **يجاهدون** لكي يختبروه.

طوبى لأولئك الذين يسعون بكل قلوبهم للمجيء **للنور**، **محتقرين كل الأشياء الأخرى**، إذ بالرغم من أنهم وهم ما زالوا في الجسد قد لا ينجحون في القدوم **للنور**، إلَّا أنهم سوف يغادرون الحياة برجاءٍ ثابت، وسوف يدخلون في **النور**.

طوبى لأولئك الذين يبكون دائمًا بمرارة على ذنوبهم، لأنَّ **النور** سوف يستولي عليهم ويُبدِّل **المرارة** إلى حلاوة.

طوبى لأولئك الذين يشعّون **بالنور الإلهي**، فيروا **عجزهم الشخصي** ويدركوا مقدار **التشوُّه الحاصل في رداء نفوسهم**، إذ أنهم سيبكون حتمًا، ومن ثم يغتسلون ويتنقون من خلال **قنوات دموعهم المنسكبة**.

طوبى لأولئك الذين اقتربوا من **النور الإلهي** ودخلوا فيه، وصاروا نورًا بالكليَّة وامتزجوا به، لأنهم قد خلعوا بالتمام **ثيابهم المتَّسخة**، ولن يبكوا ب**كاءً مُرًّا** بعد.

طوبى للذين يرون ملابسهم الخاصة وهي مُشرقة كثوب **المسيح**، لأنهم سيمتلئون كل ساعة **بفرحٍ لا يوصف**، وسوف يبكون بدموع **لها حلاوة مُذهلة**، مُدرِكين أنهم قد صاروا بالفعل أبناء وشركاء مع **الرَّبّ** في القيامة.

طوبى لذاك الذي عَيْنُ عقله مفتوحة على الدوام، ويرى **النور** في الصلاة ويتحاور معه فمًا لفم، إذ أنه يتساوى في الكرامة مع **الملائكة**، بل أتجاسر وأقول، أنه يصير **أرفع من الملائكة**، لأن **الملائكة** تنشد التسابيح أما هو **فيتشفَّع**. وإن كان قد صار على هذا الحال بينما هو مازال يعيش في الجسد **مُعافًا بِفَسَادِهِ**، فماذا يكون حاله بعد القيامة عند حصوله على ذاك الجسد الروحاني غير الفاسد؟ بالتأكيد، لن يكون مساويًا للملائكة فقط بل مشابهًا لسيد الملائكة حقًّا، كما هو مكتوب: «وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ.» (١يو٣:٢).

طوبى لذلك الإنسان المتواجد أمام الله في الصلاة، الذي يراه ويُرى من قِبَلِهِ، الذي يرى نفسه كما لو أنه قد ذهب إلى ما وراء العالم، متواجدًا في حضرة الله فقط، غير مميز إذا كان في الجسد أم خارج الجسد، لأنه سوف يسمع كلمات لا ينطق بها (٢كو ١٢)، وسوف يرى «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ» (١كو٢:٩).

طوبى لمن رأى نور العالم وهو يتشكَّل في داخل نفسه، إذ أنه وهو يقتني المسيح كجنين في داخله سوف يُعتبر أُمًّا للمسيح، كما وعد الرَّبّ ذاته – الذي لا يكذب – قائلًا: ها هم أمي وأخوتي وأصدقائي، من هُم ياربّ؟ «فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أُمِّي وَإِخْوَتِي هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللهِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا» (لو ٨: ٢١).

إذًا أولئك الذين لا يحفظون وصاياه، **يحرمون أنفسهم طواعية** من **نعمة كبيرة للغاية**، نعمة كانت ومازالت وسوف تكون ممكنة، نعمة حدثت وتحدث وسوف تحدث لجميع الذين يُتَمِّمُونَ شرائعه.

ولكي لا نتوقف هنا بدون أيِّ شاهد، لئلا يظنّ أحدٌ أنَّنا نتكلم من أنفسنا، ونقدم تعليمًا بأن ما هو مستحيل ممكنٌ، دعونا نقدم مرَّةً أخرى بولس المبارك فم المسيح، فهو يشرح هذه النقطة بشكل واضح عندما يقول: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ.» (غلا ٤:١٩).

والآن، أين أو في أي مكان أو جزء من الجسم يتشكل المسيح؟ هل تظنون مثلًا أنه يتشكل على الحاجب أو في الوجه أو في الصدر؟! بالتأكيد لا، بل هو يتشكل في الباطن، **في قلوبنا**. ربما أفترض أحد أنه يتخذ شكلًا بصورة جسدية؟ بالطبع لا فهذا بعيد كل البعد. أنه بالأحرى يتشكل بالفعل لكن بصورة غير جسدية كما يليق بالله.

علاوة على ذلك، تمامًا كما تعرف المرأة الحامل دون أدنى شك بأن الجنين يقفز في رحمها، ولا يمكن أبدًا أن تكون جاهلة بحقيقة وجوده في داخلها، كذلك يكون الأمر مع الشخص الذي يتشكل المسيح في داخله، فهو يكون مُدْرِكًا وواعيًا لحركته – أي إضاءاته – ولا يكون جاهلًا بأيِّ حالٍ لقفزاته – أي ومضاته – ومن ثم يرى تكوينه في باطنه.

إن حضور المسيح ليس – على سبيل المثال – مثل انعكاس ضوء مصباح في مرآة، فهو ليس ظهور بدون جوهر كالانعكاس، لكنه يظهر في **نور شخصي وجوهري، في شكل بلا شكل، وهيئة بلا هيئة. يُرى بصورة غير مرئية، ويُدرك بصورة غير مُدركة.**

قلب الملك في يَدِ الرَّبّ

للقديس يرونيموس

«قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ، حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ.» (أم ٢١:١).

هل كان قلب **يوليانوس الجاحد**، مضطهد الكنيسة، في يد الله؟

هل كان **قلب شاول** في يد الله؟

هل كان **قلب منسى** في يد الله؟ هل كان **قلب أخاب** كذلك؟

هل كانت قلوب جميع ملوك اليهودية المذنبين والخَطَأَة في يد الله؟

ألا ترى أنَّ هذه الآية لا تقبل بأي حال من الأحوال التفسير الحرفيّ؟

إذًا وبالتالي، **الملوك هم القديسون**، وقلوبهم في يد الرَّبّ.

دعونا نتوسل لله لكي يجعلنا مُلوكًا، نَحْكُمْ وَنُسَيْطِر على أجسادنا، **أي تكون خاضعة لنا**. كلمات **بولس الرسول** التالية مناسبة هنا: «بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا.» (١كو٩:٢٧). لتكن أرواحنا قائدة، وأجسادنا خاضعة، وعندئذ سوف يأتي **المسيح** حالًا ويجعل مسكنه فينا.

ماذا يقول **هو ذاته** في العهد الجديد؟ «هَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي.» (رؤ ٣:٢٠). كل يوم يقف **المسيح على باب قلوبنا**، فهو يشتاق للدخول. **دعونا نفتح قلبونا باتّساع ورحابة له**، عندئذ **سوف يدخل ويكون مضيفنا وفي نفس الوقت ضيفنا. سوف يسكن فينا ويتعشى معنا.**

« الله في محبته العظيمة للبشريَّة، يرتبط بالإنسان، كما أن العصفورة الأم تطير إلى صغيرها عندما يسقط من العش ... هكذا يبحث الله عن خليقته بأبوة، ويلتقط من جديد الصغير مُشجعًا إيَّاهُ ليطير ثانيًا نحو العِشِّ».

إكليمندس الإسكندري ـ القرن الثاني (الإرشاد ١٠)

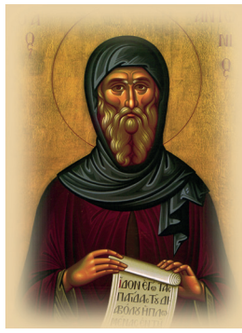

القديس أنطونيوس الكبير

نصائح كما هي واردة في الفلوكاليا اليونانيَّة

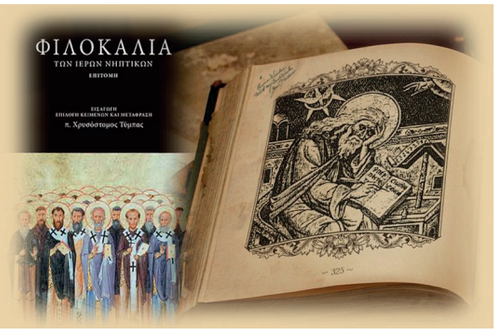

١ – **يُدَّعَى البشر** – عن مغالاة مبالغٌ فيها – **أنهم عُقلاء** . ليس الذين تعلموا كُتب الحكماء القدماء وأقوالهم هم عُقلاء، **بل الذين لديهم نفس عاقلة ويستطيعون ان يميزوا ما هو الخير وما هو الشَّر**. وهكذا يتجنبون **الشرور وفساد الضمير** (النفس) ، وايضًا يدرسون بجدية الصالحات وما يفيد النفس ويعملون، بشكر عظيم، ما يُقربهم **نُجاه الله**. هؤلاء فقط يجب ان يُدعّوا حقًا **أناسٌ عقلاء** .

٢ – الإنسان العاقل حقًا هو الذي ينشغل فقط **بطاعة الله** ويكون شاكرًا **لله ، ربّ الكلّ**، وعندئذٍ فقط تمارس نفسه : كيف يصير شاكرًا **لله من أجل عنايته العظيمة وقيادة كل العالم** مهما كانت مكانة هذا الإنسان في الحياة. لأنه من غير المعقول أن نشكر الأطباء عندما يعطون لنا أدوية مُره تسبب غثيان من أجل صحة أجسادنا، في حين انَّنا **نكون ناكري الجميل لله** لأجل كُلِّ ما يبدو لنا مُحزنًا، والَّا نعترف بأن الكل يصير كما يجب وتجاه مصلحتنا وِفْقَ عنايته. لأن **الاعتراف بهذا والإيمان بالله هما خلاص النفس وكمالها** .

٣ – الانضباط والصفح والتدبر بحكمة وطول الأناه والصبر ومثل هذه الإمكانيات العظيمة والفاضلة التي **أعطاها لنا الله** والتي تعضدنا وتعيننا **ضدّ نظيرتها الشّريرة**. ينبغي ان نَتدرَّب على هذه الإمكانيات والقدرات وتكون لدينا متأهبة للاستخدام، عندئذٍ نثق انه لن يحدث لنا أي شيء صعب أو مُحزن أو ثقيل. لأننا نفكِّر بأنَّ كل شيء يصير بالصواب وكما يجب لأجل فائدتنا، لكي **تتلألأ فضائلنا** وَنُتَوَّج من قِبَل **الله**.

٤ – إعتبر ان إمتلاك الأموال وإهدارها **مثل الخيال** الذي **سرعان ما يزول**، واعرف انَّ **الحياة الفاضلة** والتي **تَسُرّ الله** تختلف عن الغِنَى. عندما تدرس هذا الأمر بثبات ، سوف لا تحزن ولا سوف تشتكي أحد **(تبتعد عن دور القضاء والمحاكم)** بل سوف تشكر الله على كل الإحسانات التي أعطاها لك وأنت تنظر الأسوء منك يستندون على الأقوال والأموال. **لأن الشهوة والمجد الباطل من أسوء شهوات النفس** .

٥ – الإنسان العاقل **يلاحظ ذاته** ويفحص ما يجب ان يعمله وما يفيده وما هو الذي لا يليق به. وهكذا يتجنَّب **تلك الأعمال التي تضرّ النفس**، بكونها غريبة وأنها تفصله عن الحياة الأبدية.

٦ – كلَّما كان المرء يمتلك ثروة أقل، كان **أسعد**. لأنه لن يعمل حسابًا لأشياء كثيرة، لن ينشغل بخَدم كثيرين ولا أعمال زراعية ولا اقتناء حيوانات. وعندما نندمج في كل هذه الأعمال وبعد ذلك تحدث صعوبات ما **نشتكي الله** . إنَّنا **بشهواتنا العشوائية نتغذى بالموت** وهكذا **نظل في ظلام الحياة الخاطئة في الضلال** بدون ان نتعرف على ذواتنا الحقيقيَّة .

٧ – يجب الَّا يقول المرء أنه ليس من الممكن ان يحقِّق الإنسان حياة الفضيلة، بل يقول ان هذا ليس من السهل. ولا المحظوظون يستطيعون ان يحققوا الفضيلة. **يحقق الفضيلة كل الذين هم أتقياء ولديهم ذهن يحب الله**. لأن **ذهن الكثيرين هو عالمي وسهل التغيير**. فهو يفكر مرةً أفكارًا صالحة ومرةً أخرى **أفكارًا شريرة**. ويتغيَّر هذا الذهن عن طبيعته ويصير أكثر مادية. لكن الذهن الذي **يحب الله** يدين **الشَّر** الذي يأتي طوعًا إلى البشر **من جراء إهمالهم**.

٨ – العاطلون نفسيًّا والجهلاء يعتبرون هذه الأقوال أمرًا مضحكًا ولا يريدون ان يسمعوها لأنها تُبكِّت حالتهم ويريدون ان يكونوا جميعهم متساوين. أيضًا وأولئك الذين هم **مستسلمون للشهوات الجسدية** يحرصون على ان يكون كل الآخرين أسوء منهم معتقدين هؤلاء التعساء انه بسبب كثرة الخَطَأَة سوف يتحصَّنون ويكونون في أمان من أي إدانة. **النفس الخاملة تهلك وتظلم بسبب الشر**، لأن **في داخلها يوجد الإسراف والتفاخر والشراهة والغضب والوقاحة والهوس والقتل والسأم والحسد والطمع والقنص والألم والكذب واللذة والكسل والحزن والجُبن والمرض والكُره وحُب الإدانة والضعف والضلال والجهل والخداع ونسيان الله**. بمثل هذه الشرور تُعاقب النفس البائسة التي تُفْصَل عن الله.

٩ – أولئك الذين يريدون ان يحيوا الحياة الفاضلة والكريمة يجب الَّا يُميزوا بطرق مزيفة وبالحياة الكاذبة بل مثل الرسامين والنحاتين **يُظهرون بأعمالهم حياتهم الفاضلة والمُحِبَّة لله**، وكل **اللذات الشريرة** يتجنبونها كأنها مصائد خادعة .

١٠ – **الغني والشريف الجنس** الذي **لا يملك حياة فاضلة ونفسًا متيقظة دَؤوبة في عمل الصلاح هو أكثر بؤسًا** ، وليس مثل أولئك الذين يَمْتَحِنُون كل شيء باستقامة . أمَّا الذين هم من طبقة الفقراء والعبيد، **لو كانوا يملكون حياة فاضلة ويتحلون بنفس يقظة متأهبة لعمل الصلاح ومزينين بالفضيلة يكونون سعداء**. ومثل الغرباء الذين يضلّون الطريق، هكذا أولئك أيضًا الذين لا يحرصون على اكتساب الحياة الفاضلة يضلون هنا وهناك **منجذبين لشهواتهم ويهلكون ذواتهم**.

عجائب القديس يوحنا الرُّوسي

في **ليميسوس في قبرص**، بيت بسيط تعيش فيه عائلة تمرُّ بزمنٍ صعب. لقد كان في العائلة ولدان، الواحد عمره ست سنوات والآخر عمره ثماني سنوات وكلاهما **مصابان بمرض اللوكيميا أي سرطان الدم**. كان والداهما والأطباء يجاهدون من أجل حياتهما. إنها خبرة تكسر قلب الأهل إذ يَرَوْن في ولديهما الوجه الشاحب والهزيل بالإضافة إلى الوهن وافتقاد لذة الحياة واللعب.

أخبرهم أحد الأشخاص عن **القديس يوحنا** الذي في **اليونان صاحب الجسد المُقدس الذي ما زال كاملًا بدون فساد، وعن حضوره الحيّ حقيقةً والذي يصنع العجائب**. ركع الوالدان المضطربان أمام الأيقونات في منزلهما. لقد كان ليل وقد كانت شعلة القنديل الذي أمام الأيقونات تجعل وجوه الأولاد النائمين بجانبهم أكثر شحوبًا.

وقالت الأم: «**يا قديسي يوحنا** إجعلْ أولادي الصغار مُعافين. كيف أقدر أن أتحمل هذا الألم؟ تعالَ الآن إلى منزلي هنا في ليميسوس، **يا قديسي يوحنا** تعالَ الليلة ولبرهة قليلة وشاهد حزننا».

وفيما هي تبكي بصمت، قام الأب عن ركبتيه ثم بعد وقت قامت هي وذهبا كلاهما إلى النوم.

طلع النهار وفتحت الأم عينيها راجية حصول شيء ما. ماذا رأت؟ طلبت من زوجها أن ينظر أيضًا. اختفى الشحوب عن وجهي الولدين الصغيرين وحل مكانه **تورّد رقيق**. أيقظا الولدَيْن وهما مغمورانِ بعاطفة عميقة، وحضّراهما للذهاب خارجًا. إلى أين سيذهبون؟ إلى الطبيب.

قال لهم الاختصاصي: « **ولكن لماذا عمل فحص جديد للدم؟ فالفحص يُتْعِبُهُمَا وقد عملنا واحدًا قبل يومين**». وبالرغم من ذلك، أصرّ الأم والأب على أن يُفحص دم الولدين. في فحص الدم تبيّن أن الكريات الحمراء طبيعية.

لقد حصلت أعجوبة الإيمان!

صنع الأهل مُجسَّميْن من شمع النحل، على قياس ولديهما، ثم حملوها بالطائرة إلى **أثينا**، ومن هناك إلى **مقام القديس يوحنا في قرية بروكوبي في إيفيا**، حيث ركع، الأهل وولداهما، أمام **الجسد المُقدس** ليقولوا: «**شكرًا لك**». تلك كانت الكلمات الوحيدة التي استطاعوا أن ينطقوا بها في تلك اللحظة. وتركوا وراءهم في الكنيسة الشكلَيْن المصنوعَيْن من شمع النحل ليذكّرونا كلنا **بالعجيبة التي أحدثها القديس يوحنا بمحبته**.

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122